معنى الارتفاع قالوا ربا النبت بمعنى ارتفع وطال اي نما ، ومن ثم صارت الكلمة تعني النماء والزيادة والتضخم ، ومن ذلك (الربا) عن المال اي الزيادة المستوفاة عن القرض . ومن ثم صارت الكثرة والزيادة من معاني (رب يرب — بالتشديد ايضا — ومنها الجماعة الكثيرة من الناس .

الربل (زنة الخشن)

نعت للرجل يعني الجسيم . ار : (ربل rbal) : انتفخ .

فعل الربل ايضا كثير الاشتقاقات واكثرها تعني النماء والتضخم . من ذلك تربل الرجل : كثر لحمه ، وتربل جسمه : انتفخ . واثله فعل ربا يربو . ومنه ربا الفرس : انتفخ . ومنه ربى (بالتشديد) تربية بمعنى انشأ وانمى . ومنه تربية الولد .

الربالة (زنة الزمالة) :

كثرة اللحم ، يقول انها من اصل الربل الارمي آنفا .

ونقول فى هذه نفس ما قلناه فى تلك .

الربلة (بفتح الباء او تسكينها) :

أصل الفخذ . كل لحمة غليظة ، يقول انها من اصل الربل الارمي .

ونحن نقول فيها ما قلناه فى الربل .

ربا الولد :

نما . ار : (ربو rbo) من (ربو rabo) : كبير . نوهنا بمعناها فى (الربل) آنفا .

ربى الولد :

انماه . ار : (ربى rabi) .

هذا الفعل المضعف هو الفعل المتعدي من فعل (ربا يربو) الآنف الذكر .

الربوة (زنة النسوة) :

الجماعة العظيمة من الناس ، نحو عشرة آلاف. ار : (من اصل الربة) .

هذه ايضا من الكثرة والنماء ، ولم يكن بهم حاجة الى ذكر كل هذه الالفاظ المشتقة من لفظة واحدة . لكنهم وجدوا لكل منها ما يقابلها فى الارمية فظنوها الاثول الارمية بينما يعني الامر بمفهومنا ان هذه الالفاظ الارمية القليلة هي المقتبسة من بين العشرات من الصيغ العربية .

الراجل :

الجندي من المشاة . ار : (ركلويو regloyo) .

الراجل مشتق من الرجل (بكسر الراء) لانه يسير برجله خلاف الراكب . والرجل — بفتح فضم — ايضا مشتق من الرجل لانه يسير على رجليه فى العادة خلاف النساء والاطفال . وما زال الرجل يسمى (الراجل) بالدارجة المصرية . والسوريون يسمون الرجلين (اجرين) ، وكنا قبل اهتدائنا الى الترسيس نظن هذه الصيغة محرفة من الرجلين لكن يبدو لنا الآن انها اثيلة وان (الرجلين) هي المحرفة منها . ومفرد (اجرين) السورية هو (اجر) .

وقد قال العرب (جرى) : ركض . وفعل الامر هو (اجر) . ويظهر ان هذه الصيغة هي التي صارت تعني الرجل (بالكسر) ثم اندثرت فى الفصحى وبقيت فى السورية الدارجة . لهذا فان (ركلويو) الارمية تبدو مقتبسة من (الراجل) وهذه من (الرجل) وهذه من (الاجر) — بكسر الهمزة — وهذه من فعل الامر: اجري اجري اجري .. وصلني يا عم وصلني .. . .

الرحيق :

البعيد (معنى ممات) ، الخمر . يقول المؤلف « كان الخمر يأتي الى شبه جزيرة العرب من بعد بعيدة » . ار : (رحيقو rahiqo) : : بعيد .

لا علم لي بعلاقة البعد بالخمرة العربية ، لكني أرجح ان المعنى من القرح والقراح . ولا شأن لنا هنا بالقرح والقريح بمعنى الجرح والجريح اللذين اثلهما الحرق .

اما قرحنا (بضم القاف) فهو اول ماء يستنبط من البئر حين تحفر . ومن البديهي ان هذا المعنى الخاص كان عاما اول الامر . لكن القراح (بفتح القاف) هو الماء الخالص ، وهنا لابد لنا أن نلاحظ ان الرحيق يسمى (رحاقا) — زنة الفرات — ايضا بالعربية ، والرحيق والرحاق من اثل (اهرق اهراقا) و (هرق هرقا) بمعنى اراق اي سكب وسفح . و (هراق) من (أراق) وهذا من (الريق) — زنة العين — اي الماء، وتسمية الخمر من الماء ليست فريدة ، فالفارسية ايضا تدعو الخمرة (مي may) من (ماء) العربية كما تنطق فى الدارجات : ماي بالعراقية ، وميه بالمصرية .

واكثر اشتقاقات الرحيق فى العربية تعني الصافي والخالص . فالحسب الرحيق : الخالص لا شوب فيه ، والمسك الرحيق : الخالص لا غش فيه .

لهذا يخيل لنا ان معنى (البعيد) الممات الذي كان يعنيه الرحيق له اثل آخر غير هذا الاثل الذي اكسبه معنى الخمر .

الرحمن :

« نعت مختص بالله تعالى » . ار : (رحمونو rahmono) : رحيم .

ان صيغة الفعلان كثيرة فى العربية ، منها الغضبان والظمآن والوسنان واليقظان . لكن كون (الرحمن) من الالفاظ الدينية يجعل من المرجح ان تخصيصها بهذا المعنى من فعل الارمية .

المرزاب والمزراب :

قناة يجري فيها الماء . ار : (مزريبو mazribo) . سبق الكلام عليهما فى المثزاب) .

رشم :

كتب . ار : رشم (rcham) .

اصل معنى الرشم فى العربية : الخط والتخطيط. وهذا المعنى جاء من (الرسم) فقد قالت العرب رسم البعير : اثر سيره فى الارض ، ثم صار (الترسيم) يعني التخطيط حيث قالوا : رسمت الثوب (بتشديد السين) : خططته . وقالوا (رسمت) بالتخفيف بمعنى خططت عامة ، ثم صارت الكلمة تعني كتبت ايضا .

ثم اشتقوا الروسم والراسوم بمعنى الختم على الطين وعلى راس الخابية وعلى غير ذلكم ، لان الختم يكون فيه رسم أو كتابة .

ونطقها قوم بالشين بنفس المعنى اولا ، ثم تطورت الكلمة الشينية مستقلة كما هي الحال فى امثال هذه الالفاظ ، فقالوا رشمت (بالتخفيف او التشديد) : كتبت ، وقالوا الارشم : الذي به وشم وخطوط ، وقالوا ارشمت الاناء وارتشمته : ختمته بالروشم ، وهو الختم . ومثله الراشوم . وكلاهما (الروشم والراشوم) يطلق كذلك على لوح منقوش لختم البيادر وغيرها ، اي مثل الروسم والراسوم ، ومثل ذلك قالوا رصنت الدابة : وسمتها بالمرصن اي المرسم كما هو واضح ، فتتبع تطورات الكلمة ، معاني ومباني ، ابتداء من رسم البعير اي تركه اثرا على الارض حين يسير، يرينا بجلاء الى اية من اللغتين تنتمي كلمة الروشم .

الراشوم :

لوح منقوش تختم به البيادر . ار : (روشمو rouchmo) : علامة .

مر الكلام عليها ضمن (الروشم) . ومعناها الارمي (العلامة) مستحدث بالقياس الى معناها العربي . هي والروشم والروسم والراسوم كلمات حضاريات اخريات .

رشاه :

برطله . ار : (رشمي rachmi) : اهدى هدية .

اثل الرشوة هو الرشم ، فمن تطورات الكلمة انهم قالوا كالذي مر بنا (الارشم) : الذي به وشم وخطوط . ثم انهم قالوا (الرشم) : السواد فى وجه الضبع ، لان جسم الضبع مخطط . اي ان الرشم صار يعني السواد بعد ان كان يعني التخطيط . ومن هنا انتقل المعنى الى النبات فصار الرشم يعني اول ما يظهر من النبات ، وذلك لسواده بالقياس الى ما حوله من تراب الارض . وعندئذ صارت (ارشية) النبات تعني خيوطه اذا امتدت ، وواحدها (الرشاء) صار

يعني الحبل عموما ، وحبل الدلو خصوصا ، وكما ان (السبب) الذي معناه الحبل صار يعني مجـــازا : « الذريعة وما يتوصل به الى غيره » على حد تعبير المعجم صار « الرشاء » وهو الحبل ايضا كما قلنا يعني الذريعة التي يتوصل بها لدى الحكام الى قضاء الحاجات ، أي الرشوة وكثيرا ما ورد فى مأثـــورات العرب قولهم لمن يقصد اميرا يسترفده : هل لديـك سبب اليه يا اخا العرب ؟ فيجيب : نعم ، ابيات تلتها وهذا كثير الشبه بالرشوة .

اما تطور الكلمة فى الارمية وخروجها من معنى الحبل والوسيلة حيث صارت (رشاه) تعني اهداه هدية ، فيدل على انها مستحدثة فيها .

الرصفـــة (زنة السمكة) :

« البلاط أي الحجارة التي تبلط بها الشـــوارع وغيرها (معنى ممات) ، حجارة مرصوفة فى مسيـل الماء » . : (رصوفو rsofo) :) : بلاط .

اثل الرصف هو الرص ، وهذا اثله الرس أي ابتداء الشيء .

وقد قالوا رص الشيء : الصق بعضه ببعض وضمه ، ومن ثم قالوا رصف الحجارة : ضم بعضها الى بعض . ومن ذلك (الرصف) ــ زنة الاسف : الحجارة المرصوف بعضها الى بعض فى مسيل الماء . والواحدة هي الرصفة ــ زنة السمكة ــ وهـــي موضوع حديثنا . واما استعمالها فى الارمية بمعنـى البلاط فواضح انه مستحدث مثل استعمال الرصيف فى العربية بمعنى الشارع المبلط ، ثم بمعنى طـــواز الشارع المرصوف ، ثم بمعنى الطوار ولو لم يكـن مرصوفا .

الرصيـــف :

طريق مبلطة . ار : (رصيفتو rsifto) : بلاط مرصوف .

هذه الصيغة الارمية مؤنثة الرصيف اي تقابـل (رصيفة) بالعربية . ولا نرى بعد الذي تقدم ما يدل على انها غير مقتبسة من العربية .

رغـــد :

نعت العيش . ار : (رعـدو ra'do) : لين .

هذه الكلمة تأثيلها يطول ، لكن لا مفر من ايراده، ولا مناص من الاختصار .

قالت العرب ترشرش الماء : سال . ومن ثـم رشرش الشيء : استرخى ، ولا سيما الخبز اذا كثر ماؤه وارتخى فقد سموه رشراشا، ثم هم نطقـوا الشين خاءا فقالوا : رخخت الشراب : مزجته بالماء، وارخ (بتشديد الخاء) العجين : كثر ماؤه ، والرخخ (زنة القصب) : السهولة واللين ، والعيش الرخاخ (زنة الرجاء) : الهنيء . ورخاخ العيش : رغـده وسعته ، ثم كسعت الكلمة بالفاء فقالوا رخف العجين: استرخى ، والرخف : العجين المسترخي ..

ثم هم ابدلوا الغين من الخاء فقالوا رغفـت العجين : جمعته وكتلته .. ثم ابدلوا الدال من الغـاء فصار (رغد) العيش يعني طيبه واتساعه ، والاصل لينه ، وكثيرا ما عبروا بلين العيش عن رغده ومـن ذلك كان الليان (زنة الزمان) يعني « رخاء العيـش ونعيمه . ويقال هو فى لين من العيش ، أي نعيم ورخاء وخفض » .

رفـت العـين :

اختلجت . ار : (رف raf) : تحرك

اثل الكلمة رفرف الطائر اي حرك جناحيه . وهذه من فرفر ، والفرفور : العصفور . واختلاج العين يشبه الرفرفة اي تحريك الجناحين ، ومن هنا جـاء معنى الحركة فى الارمية .

الـــرف :

خشبة او نحوها تثبت فى حائط لتوضع عليهـا كتب او غيرها . جماعة من الطيور . ار : (رفو rafo)

ان اطلاق الكلمة على الجماعة من الطيـــور يرشدنا الى انها من الرفرفة . وعلى المجاز اطلقت على رف الجدار لشبهه بالجناح الناتىء من الجـدار . ولا ندري لماذا ظنوا ان العربية هي المقتبسة الا علـى اعتبار ان الرف من لوازم الحضارة ، وقد سبـق تفنيد هذه النظرية ، فى مقدمة هذا البحث وفى اثنائه .

الـــرق (بفتح الراء وكسرها) :

جلد رقيق يكتب عليه . أر : (رقو raqo) .

من كونه رقيقا نشأ اسمه . ومثله الورق ، وما دام العرب قد استطاعوا صياغة الورق من فعـــل (رق رقة) فلا يعجزهم صياغة الرق بمعنى الجلـــد الرقيق . وقد تعلم العرب الكتابة ـــ قبل ظهور الارميين في المنطقة ـــ في الرافدانين (العراق القديم) والكنعانية (ديار الشام) ومصر ، وربما في اليمن ايضا .

وبعد فالرق ـــ بالكسر ـــ يعني ورق الشجر ايضا ، مما يدل على انها اصل التسمية ، ثم اطلقوه على الجلد الرقيق يكتب فيه تشبيها ، مثلما اطلقـــوا الورق على ورق الشجر اولا ثم عمموه على كاغـــــد الكتابـــــة .

الـــرق (زنة الـــرق) :

ذكر السلاحف . أر (رقو raqo) : سلحفاة .

الرق ايضا : الماء الرقيق في البحر او الوادي . ولما كانت السلاحف تعيش في مثل هذا الماء سميت الرق من باب تسمية الشيء ببيئته ، ثم تخصص الاسم بذكورها . اما في العراقية الدارجة فما زالوا يسمون السلحفاة رقة . والرقة في الفصحى : الأرض التـــي يغطيها الماء ثم ينضب عنها ، وهي بيئة السلاحف ايضا .

الـــرق (زنة البن) :

« الماء الرقيق اي القليل العمق في بحـــر او نحوه ». أر : (رقوتو rqoqo) .

يلاحظ ان هذه الصيغة الارمية تقابل لفظيـــــا (رقيق) في العربية ، لا الرق ، ومهما يكن فان اسرة الكلمة كبيرة في العربية ، فقد قالوا ترقرق المـــاء : جرى جريا سهلا . والرقارق (زنة المراهق) : الماء الرقيق في البحر والوادي . والروق من السحـــاب : سيله ، والروق من الماء ونحوه : الصافي . وراق الماء على وجه الأرض : تردد وانصب ، وأراق الماء : صبه. والريق (زنة العين) : الماء ، والريق (زنة العيد) : ماء الفم اي اللعاب ، واخيرا المرق وهو ماء الطبيخ ... الى غير ذلك ، مما يكفي العرب بعضه ليشتقوا منه (الرق) بمعنى الماء الرقيق .

لابد ان الذين قالوا ان الرق وغيره مـــن الالفاظ مقتبسة من الأرمية قد تقبوا ونبشوا كثيرا في معاجـــم اللغتين حتى وجدوا الصيغ الملائمة لدعواهم . لهـــذا نساءل : الم يلحظوا كثرة الصيغ العربية الاخرى لنفس الالفاظ ؟

الرقـــاق (زنة الرفـــاق) :

أرض لينة مستوية التراب او نضب ماؤها . أر : (رقوتو rqoqo) .

هذه ايضا من المعاني المائية المتشعبة من : رق وراق ورقرق . يقال فيها ما قيل في سالفاتها .

مـــــراق البطـــن :

ما رق ولان منه . أر : مرقوتو marqoqo) .

هذا الوزن ليس بدعا في العربية ، فمثله المساد جمع مسد والمصاف جمع مصف . وتعريف المـــراق بانها ما رق من البطن ولان يوضح صلة معناها بمبناها في العربيـــــة .

الركوبـــة (زنة الغضوبة) :

كل حيوان يركب . أر : (ركوبو rkobo) .

تسمى في العربية كذلك الركوب والمركوبـــــة والمركوب . ومشتقات الركوب في العربية كثيرة لاتدع مجالا للشك في أثالتها . ولا نرى وجها للقول ان صيغة (الركوبة) وحدها مقتبسة من الأرمية .

الـــرمـــــح :

أر : رومحـــو roûmho) .

تأثيل الكلمة طويل ، وبعيد عن معنى الرمح ، ايجازه : قالوا غمض عينه وغمضها (بالتخفيـــف والتشديد) : اطبق جفنيها . ومن هذا نشأ قولهـــم غمص (بالكسر) : كان بعينه غمص (زنة قمر) وهو رشح ابيض دبق يسيل من العين ، ثم سموه الرمص. وقالوا كذلك رمص اليه : نظر اليه نظرا خفيفا ، اي تشبيها بنظرة من رمصت عينه . ومن هذا نشأ قولهم: رمقته : لحظته لحظا خفيفا ، او اطلت النظر اليه ، ومن فعل (رمق) نشأ : رنا ورمى ، ومن كثـــــرة

تشبيههم اللحاظ والنظرات (الرنوات) بالسهام قالوا: (رميت) السهم عن القوس ! والرماة : سهم صغير ضعيف .

ان اندثار الكثير من المعاني وتطور الكثير منها يضيع آثار الصلات بين الالفاظ لكن بعضها يبقي منه أثر يمكن تقصيه كأثر المسافر الهارب، فلمعرفة العلاقة بين الرمص والرمح نلاحظ قولهم رمصت الدجاجة : ذرقت ، وقولهم رمح الطائر : القى بذرقه ، وهم صاغوا الرماح (زنة الزمان) بمعنى كعوب الرمح وانابيبه . ثم قالوا رمحته : طعنته ، ورمحته الدابة : رفسته . ومن معنى الطعن صيغ الرمح لأنه اداته . ثم ظهر الرمح بنفس صيغته فى الأرمية (رومحو) .

الرمص (زنة القفص) :

وسخ أبيض فى مؤق العين ، ار : (رمصو remso) .
اثلها غمص ، وهذه اثلها غمض ، كالذي قلنا توا .

الرمكة (زنة السمكة) :

الفرس أو انثى البرذون يتخذ للنسل . ار : (رمكو ramko) : : فرس .

يخيل لنا ان اثل الكلمة هو رمحته الدابة بمعنى رفسته ، ثم تخصصت بالفرس والبرذونة المتخذتين للنسل .

الرمان (زنة الدكان) :

ار : (رومونو roumono) .

اثل الكلمة هو النار ، ومنها نشأ النور (زنة البوق) اي الضوء ، والنور (زنة الثور) اي الزهر ، وقد سمي زهر الرمان قديما (النار) لشبه لونه بلونها فيما نرى ، ثم اطلقت الكلمة على الثمرة ايضا والشجرة ، وما زالت الكلمة باقية بهذا المعنى فى التركية (نار) وفى الفارسية (انار anar) غير أن صيغة (النار) قد اندثرت فى العربية او بالاحرى تحرقت وتطورت حتى صارت تنطق (رمان). ولا يستبعد أن تكون الأرمية قد ساعدت فى هذا التطوير ولو اننا لا نجد ما يدل على ذلك ، لكن المادة اللغوية عربية على كل حال .

الروح :

النفس . ار : (روحو rouho) :

تنفس . نفس سبق الكلام عليها فى الفصل الاول من هذا البحث .

مروحة :

ار : (مروحتو marwahto) من (روح rawah) : انعش .

سبق الكلام عليها كذلك ، وأصل المعنى من الريح واستعمالها فى الأرمية بمعنى الانعاش مستحدث يقابل فى العربية (الترويح) عن النفس . اي عكس ما يظنه اللغويون الارميون من أن معنى المروحة فى الأرمية هو الناشيء من معنى الانعاش .

الروسم والروشم :

سبق الكلام عنها فى (الراشوم)

الريح :

هواء متحرك ، ار : (ريحو riho) .

الريح هي اثل اشتقاقات الروح والراحة والاستراحة والمروحة والريحان والرائحة والترويح .. فما اثلها يا ترى ؟ انها من الكلمات المائية التي ترجع الى الريق والريل والريق والري .. وقد قالوا راه الماء : اضطرب على وجه الارض . والري : ارتوى النبات والشجر ، والريا — زنة هيا — الريح الطيبة كأنما قصدوا الريح التي تأتي من جهة الشجر المرتوي. والرية — زنة النية — هي الرئة التي تدخلها الريح ومن هنا صارت الريح تعني الهواء ومنها الروح اي النفس — زنة النفع — التي صاغوها من النفس — بفتحتين — اي الهواء الذي يدخل الرئة ايضا .

الريق (زنة الطير) :

« ريق يخرج من فم الطفل » . ار : (ريرو riro) : ريق .

قلنا فى حديث سابق ان (آب) نشأت منها كلمات مائية كثيرة منها آل ولاب وبال ورال وراف وراق وراه ... كالذي نوهنا ببعضه توا ايضا . ونزيد الآن نمل (لاب يلوب) الذي بقي من معناه العطش اي تطلب الماء ، والحوم حول الماء . ومنه (اللواب) ومن هذا نشأ (اللعاب) وكلاهما يعني الريق . ومثل ذلك قالوا من (الريل) رال الصبي : بال ريباله او ريله ، اي لعابه ، ومن هذا الأخير نشأ (الرير) ، ثم ظهر فى الأرمية

الزجاج :

ار (زكوكيتو zgoguîto) .

اثل الكلمة الجزاز . والعراقيون يسمونه الكزاز (gzaz) . وهو من فصيلة جز وقز وقص . وقد قال العرب : جز الصوف او العشب : قطعه ، وهنا يساعفنا علم الآثار على تأثيل الكلمة . ذلك أن القدامى اكتشفوا حجرا بركانيا شفافا اذا انكسر كان حرفه حادا ماضيا يصلح للحلاقة ، وتدل الحفريات على انهم استعملوه فعلا . وقد جرب احد الآثاريين — سايزر — فحلق وجهه فى العراق بحجر من هذا الطراز حلاقة قال انها كانت جيدة نظيفة . فهذا الحجر سموه الجزاز او القزاز كما لا يزال يسمى فى بعض الدارجات ومنها العراقية التي ينطق القاف فيها كافا مخففا احيانا فسموه (الكزاز) كالذي قلنا ، وقد كانت الفصحى ايضا تنطقه بالقاف وبقيت من ذلك ءاثاره هي (القازوزة) : القارورة الصغيرة ، اما فى المصرية فالقزازة (وتنطق الازازة) هي التي تعني القارورة .

ويبدو ان هذا قد تم فى جزيرة العرب اولا ، ثم قلبت الكلمة — الجزاز — فصارت (الزجاج) — بفتح الزاي او كسرها او ضمها . ومن ثم ظهرت فى مختلف لهجات القبائل ومنها (زكوكيتو) فى الأرمية .

زفر :

« اكل اللحم . ار : (زفر zfar) : توسخ ، سبب التوسخ ما يبقى فى الاصابع من آثار اللحم » .

الزفر — زنة المطر — بالدارجة العراقية هو الدسم من لحم او دهن او نحوهما ، وتزفرت يده : تدسمت . وفى الفصحى تدسم الشيء : علاه الوسخ والدنس

واصل المعنى ناشيء من الزفير اي اخراج النفس بعد الشهيق ، ولما كان زفير بعض الناس والحيوانات كريه الرائحة صار يعني خبث الرائحة اولا ثم الدسم ثانيا . ومن ذلك سمي الاسد (الزفر) — بضم وفتح — لبخره ، اي كراهة رائحة فمه . ومن ذلك نشأ (الزفر) فقالوا زفر الشيء : ظهرت رائحته واشتدت اطيبة كانت ام خبيثة . فأصل المعنى هو الزفير ، ثم تكون معنى الوسخ متأخرا حيث ظهرت فى الأرمية .

زل الدرهم :

نقص وزنه . ار : (زل zal) : كان مفرط الخفة فى الميزان .

اثل زل هو زلق . والأرض الزلق : الملساء ليس بها شيء . والزلقة : الصخرة الملساء . ومن ذلك قالوا زل زللا : كان ازل ، اي خفيف الوركين . ومن ذلك قول المتنبي فى وصف الأسد : « كتفا ازل وساعدا مفتولا » . ومن هنا صار الزلل يطلق على الخفة . وصار الدرهم الناقص الوزن اي الخفيف يسمى الزال. وزل الدرهم : نقص وزنه ، ومن ذلك (زلل الميزان): نقصانه . ومن ثم ظهر فى الأرمية . (زل) : كان مفرط الخفة فى الميزان .

واخوات زل فى العربية ليست بالقليلة : زلق ، زلج ، زلحف ، زحل ، زحف ، وحلف ، زحلق ، زلح، زلج ، زلزل ، زلم .. سحف ، سحج ، سحا ، سحل، سحب ، سح ، سحح .. سل ، سلب، سلت .. سلحب سحلف (ومنه السلحفاة) ، سلخ ، سلس (ومنه السلسبيل) ، سلف ، سلك ...

زمن ، زمان :

ار : (زبنو zabno) من (زمن zman) : عين زمانا .

هذه الكلمة تتنازعها عند اللغويين ثلاث لغات : العربية والأرمية والفارسية التي يسمى الزمان فيها (زمانه) .

والذي نعتقده انها عربية لأن اثلها دمن ، فقد قالوا دمنت باب فلان : لزمته ، وادمنت الشيء : ادمته

كما قالوا ازمن الشيء : دام ، وازمن بالمكان : اقام زمانا ، ومثل ذلك مدن بالمكان ومتن به . ونعتقد ان آثل هذه الكلمات الثلاث (زمن ، دمن ، متن) هي دمن وهي من دم الأرض : سواها ، واصل المعنى كما في الدراجة العراقية دم الشيء : طمره ودفنه ، واثلها طم بمعناها ومنها الطمي اي الغرين الذي يغمر الأرض ، والطمر من الغمر ، وغمر من غم اي غطى...

الـزورق :

ار : (زورقو zawrqo) .

ان الزلق والانزلاق من الزرق وهو معنى مائي اثله الرق (زنة البن) : الماء الرقيق في البحـر او الوادي ، وترقرق الماء .. مما سلف ذكره . والماء الأزرق الصافي ، وقد صار الزرق يعني الزلق وبقي من ذلك قولهم ازرقت الناقة حملها : اخرته الى الوراء ، اي زلقته .

وقد ضاعت بعض المعاني المائية من الزرق لكن بقي قولهم زرق الطائر : رمى بسلحه ، والزراقة (زنة السيارة) : المضخة ، و « المزراق : الرمـح القصير » ، لانه ينزرق حين يرى ، و « الرزيق : طائر اكبر من العصفور قليلا » لانه ينزرق في طيرانه ، ومن هذا المعنى سمي الزورق لانه ينزرق اي ينزلق على سطح الماء .

زوق تزويتـا :

زين تزيينا . ار : (زيق zayeq) : سطـوع .

الزواق (زنة الزواج) : زينة الجارية . والذي يغلب على ظننا ان اثل قولهم زوقوا الجارية هو : زوجوها ، لأن التزويج يقتضي التزويق ، ولابـد ان الكلمتين كانتا مترادفتين أولا ثم اختصت الثانية بمعنى تزيين العروس ، ثم التزيين عموما . وما زال الزواق (بضم الزاي) يعني بالدارجة العراقية زينة المـراة خصوصا ، ويقولون عنها زوقوها وتزوقت . كذلك ورد في الفصحى تزيقت المراة بمعنى تزوقت .

الـزاويـة :

ار : (زوويتو zowito) .

قالوا في العربية طويت الشيء اي ثنيته . ومن الطي نشأ التو (الفرد من الطيتين) والزو (الشفع اي كلا جانبي الشيء المطوي) . ومن الزو نشأ الزوج، كما نشأ زويت الشيء : طويته . ومن هنا نشـأت الزاويـة .

الـزيـت :

ار : (زيتـو zayto) .

قال العرب زاب الماء يزوب زوبا : جـرى . والازيب (زنة الاشيب) : الماء الكثير . ونطقت الكلمة بالدال فنشأت منها صيغ مما بقي منها المزادة : جلود يضم بعضها الى بعض ويوضع فيها الماء ، وكانهم قصدوا المزابة . ومن ثم صارت (المزادة والمـزاد والمزود / تعني الوعاء الذي يوضع فيه الزاد ايضا ، وهو الطعام في الاصل ، ثم خصوه بطعام السفر .

ومن ثم قالوا زات القوم يزيتهم زيتا ، وزيتهـم (بالتشديد) تزييتا : « اطعمهم زيتا او جعل (زادهم) الزيت ؟ والظاهر ان (الزيت) اطلق اولا على السمن ونحوه من الدسم عامة ، ثم اختص بالزيت وهو دهن الزيتـون .

الزيتـــون :

ار : (زيتونو zaytouno) .

صيغ اسم الزيتون من اسم (الزيت) الـذي يعتصرونه منه . ومن ثم ظهر في الارمية . هل نعده مادة حضاريـة ؟

الـزيـز :

حشرة . ار : (زوزو zouzo) .

هذه كلمة صوتية ، اي ان هذه الحشرة انمـا سميت بهذا محاكاة لصوتها (زيز زيز زيز ..) . ويجوز ان نجاري الارمية الى حد ما فنقـول ان الصـوت (زوز زوز زوز) . لكن كثرة الكلمات الصوتيـة في العربية من اسماء الطيور والحشرات يجعلنا نرجح اثالة العربية ، مثل : الجدجد ، الصرصر ، صـرار الليل ، الرتيلاء (تطلق على انواع من العناكب والهوام كالذباب ، والاغلب من صوت ترتيلها) ، والبلبـل والهدهـد .

المسبـــار :

آلة لسبر الجرح ، أر (سبر sbar) : حكم . . قدر .

أثل رسب يرسب هو رسا يرسو ، ورسب الشيء في الماء سقط الى أسفله اي قعره . ومن هذا نشأ قولهم سبرت الجرح أو البئر : امتحنت غوره لتعرف عمقه ، والبئر هي الأصل ثم استعير المعنى للجرح . ومجازا قيل سبرت الأمر : جربته واختبرته، ومن هنا قالوا شبرت الشيء : قدرته ، وصار الشبر يعني مسافة ما بين الخنصر والابهام يقيسون بها .

ويلاحظ ان الفعل الأرمي يعني الحكم والتقدير مثل فعل الشبر العربي بالاضافة الى سبر الأمر ، اي نتيجة السبر والشبر .

والمسبار اداة حضارية أخرى (طبية هـذه المرة) تنشئها العربية كما هو واضح لتبطل الحجة الحضارية في عزو الالفاظ العربية الى الأرمية .

السبـــط :

صفة الشعر المسترسل . أر : (شبط chbat) امتـــد .

ان للسبط في العربية اسرة كثيرة العدد نذكر منها لغرض التأثيل وحسب : سبط ، وسبد رأسه : سرح شعره ، واسبل الستر : أرخاه ، ثم أسدلـه ومنه (السدل) — زنة الفكر — و (السدل) — زنة الكفر : الستر . وهذا يرجع بنا الى افعال سـدف وسجف وسجا الليل ...

اما (شبط) الأرمية فلها واحد من هذه المعاني وهو الامتداد الناشيء من الانبسـاط والانسدال .

سجـــد :

أر : (سكد sgued) سجد . ركع .

يبدو لنا ان فعل (سجد) أثله (الجسد) اي الجسم ، مثل مثل (جثم) الذي نشأ منه (الجثمان) اي الجسم أيضا .

سجـر التنـــور :

ملاه وقودا ثم أحماه . أر : (شكر chgar) اشعل .

مثلها قولهم سقرته الشمس : لوحتـه وآذت دماغه بحرها . وكلتاهما من أثل (شعل) ، وهـذه أثلها شعت الشمس : نشرت أشعتها . لهذا كان من المعقول ان يكون معنى (شكر) في الأرمية : شعل واشعـل .

سجـن المـاء :

تعكر وفسد . أر : (شكش chgach) هيـــج .

ان المعنى العربي هو الأصل ، لأن الكلمة مائية وهي من اخوات سجلت الماء : صببته ، وسججـت السحابة الماء : صبته . وهذه أثلها سجر الماء النهر : ملاه ، وسجر البحر : فاض ...

وبعد ان تطورت الكلمة لفظا فصارت (سجس) ومعنى فصارت تعني تعكر الماء وفساده ظهرت في الأرمية بمعنى التهيج الذي أصله التعكير .

السجـــس :

الاضطراب . الشغب ، أر : (من أصل سجس)

هذا صحيح ، فقد ورد التنويه بظهور معنـى الشغب اي التهييج توا في (سجس الماء) .

السجف (زنة الزحف والحزب) :

الستر . أر (شكف chgaf) غطى .

ومثل السجف : السجـاف (زنة اللحـاف) والسجيف (زنة النحيف) . وسجفت البيت وأسجفته: ارخيت عليه سترا ، اي سترته ، وكان أولى بهم ان يقرنوا هذا الفعل العربي بهذا الفعل الأرمي ، بدلا من ان يقرنوا بين هذا الاخير والاسم العربي الستر) وفعل سجف نشأ منه في العربية فعل سجا يسجو ، فقد قالوا سجا الليل وسجف بمعنى ، اي امتـد واستطال .. وأصل المعنى : أظلم .

اما أثل السجف فهو السدف قيل اسجفـت الستر : أرخيته ، كما قيل اسدفت الحجاب : أرخيته. والسدف (زنة الخزف) والسدفة (زنة الغرفة) هي الظلمة اصلا ، وصارت تعني مجازا : السترة تكـون على الباب تقيه المطر .

والسدف اثله السدل ، فقد قالوا اسدلت الشعر او الثوب : ارخيته . وفعل سدل من دلس ، وهذا من دمس ، وهذا من طمس ، وهذا من طم وطمي ...

هذا والسجف يعني الستر بالعربية بينما (شكف) يعني غطى بالأرمية كالذي تقدم بنا . ولو كان العكس، اي لو كان السجف اي الستر والستار والسجاف والسدفة .. هي التي فى الأرمية لكان من الصعب اقناعهم بأثالتها فى العربية لأنها كلمات (حضارية)

اسجت الناقة :

كثر لبنها . ار (اسكى asgui) كثر

السجو كلمة مائية . من اخواتها : السجل والجسم والسجن والسج . فقد قالوا سجلت الماء : صببته ، ثم صار السجل يعني الدلو العظيمة ، ومن ثم (الضرع العظيم) ، (والضرع السجيل) — زنة السجين : الواسع المتدلي .

كذلك قالوا سجمت السحابة الماء : صبته كما تقدم ، وانسجم الماء : انصب . (وناقة سجوم وسجام) : كثيرة الدر .

ومن مادة السجن بقي من معنى الماء (الساجنة): مسيل الماء من الجبل .

ومن السج نجد (السجة والسجاج) — زنة الحجاج : اللبن الكثير الماء .

فلا غرابة ان قالوا من السجو ايضا (اسجت الناقة) غزر لبنها ، ومن ثم تطويرا (ناقة سجواء) : تسكن عند حلبها . ثم ظهر معنى السكون : (امراة سجواء الطرف) : ساكنته ، و (ليلة سجواء) : ساكنة ، (واسجى البحر) : سكنت امواجه ، و (سجا الليل حتى هاج لي الشعر والهوى ...

ومن كل هذه المراحل التطورية تظهر فى الأرمية مرحلة (اسجت الناقة) : كثر او غزر على تعبير المعجم ، لبنها ، فى صور (اسكى) : كثر .

ونضيف بالمناسبة أن هذه الصيغة الأرمية توحي لنا بأن (السقي ، والساقية ، والساقي) ايضا قد تطورت من نفس المادة اللغوية .

السحتوت (زنة الانبوب)

والسحتيت (زنة الابريق) :

سويق قليل الدسم كثير الماء . ار : (شحتيتو chahtito) : حنطة محمسة .

فعل السحت اثله الحت ، ومن اخواته النحت ، فقد قالوا سحل الشيء : نحته ، كما قالوا سحت الشحم عن اللحم : قشره ، ومن ثم قيل سحت الشاة: ذبحها . ومعنى الحت والقشر والذبح والاهلاك يظهر فى اخوات فعل (سحت) مثل سحجت الشيء : قشرته .

وسحطه : ذبحه ذبحا سريعا .

وسحف الشعر عن الجلد : كشطه ، وسحف الراس : حلقه ، والسحفة : الشحمة التي على الظهر ، والسحفة : آلة يقشر بها اللحم ويكشط الجلد . وهي اداة حضارية عربية ايضا ، لا دخل للغة اخرى فى تكوينها .

ومثل ذلك ايضا سحقته : اهلكته او دككته ، وسحقت الريح الأرض : قشرت وجهها بشدة هبوبها، وسحقت الراس : حلقته .

ثم سحن الشيء : دقه او كسره .

وسحا الشيء يسحاه ويسحوه ويسحيه سحيا: قشره ، ومنه المسحاة وهي اداة كالمجرفة ، وهما حضاريتان ايضا وعربيتان .

فمن قولهم سحت الشحم عن اللحم (اي قشره) نشأ معنى قلة الدسم لأن كشط الشحم يقلل دسم اللحم عند طبخه ، وعلى التشبيه استعير المعنى للسويق الذي قل دسمه وكثر ماؤه . وبعد هذا ظهر فى الأرمية (شحتيتو) بمعنى الحنطة المحمصة اي التي يصنع منها السويق .

السحاف (زنة السلاف) :

مرض السل . ار : (سحيفتو shifto) خراب .

السحف صيغه ومعانيه كثيرة فى العربية اوردنا بعضها آنفا ، وانما اختاروا من بينها السحاف لانه اسم مرض وقد عدوا تسمية الامراض من الشؤون

الحضارية التي لم يعرفها العرب ، فيما يبدو ، ولو انهم لم يجدوا مقابلة فى الأرمية .

لقد استعمل السحف ايضا فى العربية بمعنى كشط الشحم ، ومن ذلك (السحيفة) : ما يقشر من الشحم ، و (السحوف) : الناقة التي ذهب شحمها، وقد اشتق اسم مرض السل من هذه المادة اللغوية لانه يذهب بشحم المبتلى فيصيبه الهزال ومن ثم الهلاك . وقد قلنا ان اصل المعنى هو الحت والنحت، وليس قليلا قول العرب براه السقام او الغرام بمعنى انحله وابلاه ، وما معنى الخراب فى الأرمية الا تطور متأخر .

السخلة (زنة النخلة) :

ولد الشاة . ار : (سحلتو sahlto) .

نرجح ان الاثل هو (السلخ) زنة السجن : جلد الحيوان المسلوخ . وقد جاء ذلك من قولهم سلخت الخروف : كشطت جلده . ومما يؤيد ذلك ان (السليخة) تعني الولد ، واثل السلخ هل السل ــ زنة التل) الذي منه ايضا صيغ السليل بمعنى الولد .

سخم الله وجهه :

سوده . ار (شحم chahem) سود

اثل الكلمة سحم يسحم (كعلم يعلم) : اسود فهو اسحم ، وكما قالوا سخم الله وجهه قالوا اسحم وجهه بنفس المعنى . والتسخيم يعني التسخين أيضا. واثلها جميعا قولهم حم الماء : سخنه . وقد سبق الحديث عن تاثيل (حم) وترسيسها عند الكلام على (الحمام) فى العدد الماضي .

السخم (زنة الصنم)

السواد . ار : (شحومو chhomo) .

هي من نفس المادة .

سدر الجمل :

« اصابه الدوار واختل نظره من فرط الحر » . ار : (سدر sdar) اصابه الدوار .

اصل المعنى اظلم بصره ، واثل اللفظ سدرت الشعر فانسدر : سدلته فانسدل . ومن هذا الباب ايضا : سترت الشيء : غطيته ، وسدفت الحجاب : ارخيته ، واسجفت الستر : ارخيته ايضا ... كما تقدم .

وقد تقدم بنا كذلك معنى الظلمة فى هذه الالفاظ مثل سجا الليل واسجف واسدف ارخى سدوله .

ومن الظلمة تحير البصر والاصل غموضه واظلامه . وقد قالوا من مادة السدف « اسدف المرء : اظلمت عيناه من جوع او كبر » .

ويمكننا ان نضيف : او من سبب آخر . ثم ظهر المعنى فى مادة سدر بقولهم « سدر البعير : تحير نظره من شدة الحر » . ثم ظهرت الظلمة فى الأرمية بمعنى الدوار لأن الدوار ايضا يسبب تحير النظر .

السدان (زنة السجان)

« مسند يطرق عليه الحديد » . ار : سدونو (sadono) .

اصاب المؤلف بتسميته مسندا فان (السند) هو اثل الكلمة .

و (السدان) هذا لغة ضعيفة فى السندان ، الذي اكتسب اسمه من كونه مسندا يوضع عليه الحديد عند طرقه . وخلو الصيغة الأرمية (سدونو) من النون الاول دليل حداثتها . وهذه كلمة حضارية اخرى ..

السرج :

الرحل ، ار : (سركو sargo) .

مادة التسريج اثلها التشريج . وشرجت الشيء تعني فى الأصل شققته ، لكنها خرجت عن معناها هذا ، وبقي فيها من معنى الشق صيغ مثل انشرج الشيء : انشق نصفين ، والشريج : فلقة العود اذا شق فلقتين متساويتين ، ومن هذا المعنى نشأت (الشريجة) . وهي جوالق كالخرج ينسج من سعف النخل ، سميت بذا لانها فلقتان تتدليان على جانبي الدابة . ثم تطور المبنى والمعنى فنطقوه (السرج) بمعنى الرحل وغلب استعماله للخيل .

السراج (زنة السلاح) :

اداة يستضاء بها وهي وعاء يشعل فيه فتيل مغموس فى الزيت . ار : شروكو (chrogo من (شرك (chrag اضاء .

اثل الكلمة (السيرج) وهو دهن السمسم ، بدليل قولهم اسرج السراج : اوقده ، واصل المعنى فيما يخيل لنا : ملأه بالسيرج الذي يظهر انهم كانوا يستعملونه للاستضاءة ثم استعملوا سواه من الزيوت ايضا . واثل السيرج هو (الشيرج) : زيت السمسم ايضا اي عصيره . وهذا اثله (الشرو) — زنة الصنو — اي العسل ، وينطق بفتح الشين كذلك . ومنشؤه فيما نرى عسل الفواكه اي عصيرها من فعل (جرى يجري لأن عسل الفاكهة ولا سيما التمر يجري عند تكدسها ، ثم استعيرت الكلمة لعسل النحل)

ومن الشرو — بالكسر — نجد فى الفارسية (شيره) بمعنى عصير الفواكه ونحوها ، اي عسلها

على ما تقدم يمكننا تصحيح تاثيل الكلمة فى الارمية فان فعل (شرك : اضاء) هو المشتق من (شروكو : السراج) المقتبس من العربية ، كلمة حضارية اخرى

السرو :

شجر قويم الهيكل . ار : (سروو (sarwoo) .

معنى فعل سرا يسرو سروا هو علا يعلو . ومنه شرف (من باب كرم) بنفس المعنى . ومن معنى الانتصاب فى مادة (شرف) قالوا استشرف الشيء : انتصب .

والسرو شجر منتصب متجه بجذعه واغصانه الى اعلى ، ويكون بعض انواعه سامقا سحيقا فى الفضاء ، فلا غرو ان يسموه (السرو) من معنى الارتفاع والانتصاب . واذا كانت الارمية قد سبقت الى هذه التسمية — وليس لدينا ما يرجح ذلك — فالمادة اللغوية عربية عريقة .

المسطح (زنة المنجل) :

البيدر . ار : (مشطوحو (machtoho ميدان .

اي ان كل صيغ مادة (س ط ح) فى العربية اثيلة ، عدا (المسطح) بمعنى البيدر على رايهم لانهم وجدوا (مشطوحو) فى الارمية ولو بمعنى آخر .

معلوم ان فعل سطح يسطح يعني فى العربية بسط وسوى . وصيغة المسطح نفسها تعني فى العربية عدا البيدر اشياء اخرى لها علاقة بالتسطيح ، فهي اولا آلة التسطيح لاي شيء ومن ذلك اطلق على المرقاق الذي يسطح به الرغيف ، كما اطلق على موضع تجفيف التمر لانهم يسطحون فيه التمر اي يفرشونه ليجف . معان حضارية اخرى .

اما (مشطوحو) فيظهر انها من قول العرب « رايت الارض مساطح : اي لا مرعى بها ، شبهت بالبيوت المسطوحة » .

سطره :

كتبه . ار : (سرط (srat : خط ، رسم

الذي نراه ان السطر اثله الشطر، وما الساطور الا الشاطور . وشطرت الشيء اثلها : شرطته ، وهذه من شرطته وهذه من شقتته .. ومن اخواتها شرج وشرح وشرخ وشرز وشرع وشرك .

فاصل معنى سطرت الشيء هو قطعته ، وقديما قالوا سطره بالسيف : قطعه ، ومجازا قالوا سطرت الرجل : صرعته .

والسطر يعني الصف من الكلمات او الشجر او البناء او غيره ، ويبدو لنا ان اصل المعنى هو تخطيط المحراث الذي يخدد الارض اي يشرطها صفوفا ، ثم اطلق على الصف من كل شيء . وقد شاع استعمال السطر لصف الكلمات ومن ثم قالوا سطرته : كتبته . وبعد أن صار السطر يعني الصف من الكلمات المكتوبة، نشأت الاسطورة التي ظهرت فى اللاتينية بصيغة historia بمعنى التاريخ والاحدوثة القديمة .

وبعد هذا ظهرت فى الارمية بمعنى الخط والرسم.

السطر (بسكون الطاء او فتحها) :

صف الكلمات او الشجر. ار : سدرو (sedro ترتيب . من (سدر (sdar : رتب .

هذا المعنى الارمي مجازي متطور من المعنى العربي ، من مثل قولهم « سطرت القرطاس : رسمت عليه خطوطا يحتذيها » .

الساطـــور :

سكين كبير لقطع اللحم . ار : (سوطـــورو sotouro) سكين الطباخ الكبير .

ورد ايضاحها ضمن (سطره) .

سطـم البـاب :

اغلقه . ار (سطم stam) اغلق .

(سطم) الباب : اغلقه ، ومثله (سدمه) : رده ، اثلهما الصدم وهذه من الصد ، بدليل قولهم : رد الباب بمعنى اطبقه . والمقصود من اغلاق الباب وسده وصده رده واحد . وقد استعملوا (الصـد بمعنى السد فى مثل قولهم صد الطريق : اعترض دونه مانع من عقبة ونحوها ، اي صار ما نسميه بالطريق المسدود .

السطـام (زنة السلاح)

سداد القارورة ، ار : يقول انها من اصـل سطم) .

نعم ، نؤيد ذلك . فانظر (سطم الباب)

— يتبع —

امـي شاعـر :

هو الزبيري صاحب ابي العلاء صاعد بن الحسن اللغوي ، كان اديبا شاعرا فطنا بديهيا ذكره ابو عامر بن شهيد وقال كان اميا لا يقرأ ولا يكتب وكان مع هـذا من اطبع الناس شعرا واسرعهـم بديهة (جذوة المقتبس فى ولاية الاندلس لمحمد بن فتوح الحميدي مخطوط 488 ـ ص 384)

اختلاف المفاهيم اللغوية بين الأمم، ما المجتمع مثلاً؟

الأستاذ عبدالرحيم أبواليمن
أوبلادن - ألمانيا الغربية

يكثر الكتاب والمفكرون في العالم المسمى بالعالم الحر من ذكر المجتمع وتحليله على اعتبار ان المجتمع هو مجموعة الناس من البلد أو البلد باعتبارها مسكونة بالناس . فيقولون قضايا المجتمع ، والنهوض بالمجتمع أو القضايا المادية للمجتمع وما شاكل ذلك . والعالم الغربي او ما يسمى بالعالم الحر هو المسيطر على اكثر أجزاء العالم ومنه العالم الاسلامي بحضارته ومفاهيمه ، ولذلك تركز هذا المعنى للمجتمع في اذهان الناس في العالم الاسلامي ولا سيما في اذهان المثقفين والمفكرين وحتى جمهرة اليساريين بجميع أنواعهم . وبالرغم من وضوح خطأ هذا المعنى ، ومن مخالفة الفكرة الاشتراكية له فانه ظل هو الغالب لدى المثقفين والمفكرين بل ظل هو المسيطر . ولما كان هذا المفهوم للمجتمع من الافكار الاساسية لدى الغرب ولدى الحضارة الغربية ، ولما كنا نحن المسلمين نعمل على قلع الحضارة الغربية من جذورها لازالة الخطر وخطر الغرب كله كان لا بد من توضيح معنى المجتمع بشكل شامل لمن سيطرت ثقافة الغرب على عقولهم من ابناء المسلمين ومنهم من يعتنقها ، لادراك واقعه حين ادراك مدلولاته .

واقع المجتمع انه مجموعة الناس بما بينهم من علاقات ، وليس مجموعة الناس فقط . فمجموعة الناس هي جماعة وليست مجتمعا . والذي يكون المجتمع هو العلاقات وتتميز المجتمعات عن بعضها بحسب هذه العلاقات ، والا فالناس في كل بلد هم الناس ، اي هم اشخاص من بني الانسان لا تتميز جماعة عن جماعة الا بالعلاقات . ان المجتمع في حقيقته التفصيلية هو اناس ، وافكار ، ومشاعر ، وانظمة . هذه الامور الاربعة هي المجتمع . ذلك ان الذي ينشيء العلاقة بين الناس هو المصلحة ، فاذا وجدت مصلحة كانت العلاقة ، واذا لم توجد مصلحة لا توجد علاقة . والمصلحة مبنية على أفكار عن الشيء او الامر بانه مصلحة ، فاذا توافقت افكار الناس على امر بانه مصلحة وجدت بينهم علاقات وتوحدت هذه العلاقات ، واذا اختلفت افكارهم على امر من حيث المصلحة ، هذا يراه مصلحة وذاك يراه مفسدة فانه لا توجد بينهم علاقات . فالذي يوجد العلاقات بينهم هو اتفاق افكارهم على ان هذا الامر مصلحة . وهذا اول شيء في وجود العلاقة. الا ان هذا لا يكفي وحده بل لا بد ان تتوافق مشاعرهم نحو هذه المصلحة ، فاذا توافق فرحهم للمصلحة وتوافق حزنهم عليها وتوافق رضاهم عنها وتوافق سخطهم عليها الى غير ذلك من مظاهر المشاعر فان العلاقة توجد ، واذا لم تتوافق هذه المشاعر لا توجد العلاقة حتى لو وجدت الافكار ، فاذا حينئذ تكون مجرد أفكار فلسفية كفلسفة اليونان عند الفرنسيين مثلا ، فان الفكر لا يكون فكرا له واقع اي لا يكون مفهوما الااذا ارتبط بالمشاعر، فبوجود الافكار والمشاعر تتكون العلاقة . الا ان هذه العلاقة لا تخرج الى حيز الوجود ولا تكون لها ثمرة الا اذا توحدت بينهم الانظمة التي تنظم هذه العلاقة ، فوجود العلاقة ملموسة

ومثمرة لا يتاتى بتوحيد الافكار والمشاعر بل لا بد من توحيد الانظمة التي تنظم هذه المصلحة . بل ان الانظمة التي تنظم المصلحة اذا وجدت ، ولو بطريق الفرض والاجبار ، تنشأ عنها الافكار والمشاعر ، ولذلك كانت الانظمة في تكوين المجتمع عاملا وان كان دون اهمية المفاهيم اي الافكار التي اصبحت مفاهيم .

وعلى هذا فانه من الخطأ ان يقال قضايا المجتمع ويراد الناس ، بل قضايا المجتمع هي قضايا العلاقات بين الناس وليست قضايا الناس ، ولذلك فان اصلاح المجتمع هو اصلاح العلاقات وليس اصلاح الناس ، وتغيير المجتمع هو تغيير العلاقات وليس تغيير ما يستعمله الناس من ادوات ولا تغيير ما يلزم لحياة الناس . ومن هنا لم يكن جعل الغسالة الكهربائية مكان لجن (طشت) الغسيل ، وجعل المكنسة الكهربائية مكان مكنسة القش ، ولبس السروال الاجنبي مكان القنباز او الجلباب ، لم يكن ذلك كله وسيلة لتغيير المجتمع ولا اصلاحه ، فانه لا علاقة له في المجتمع . صحيح انه قد يؤثر على الافكار، وقد يؤثر على المشاعر، ولكنه تأثير انطباع وتقليد لا تأثير فهم واصالة ، وهو تأثير مؤقت من السهل ازالته ، ومع ذلك فانه لا ينشيء علاقة ولا يكون مجتمعا . بل اصلاح المجتمع وتغييره انما هو بتغيير الافكار والمشاعر والانظمة ، ولا يصلح ولا يتغير الا بذلك ، اي الا بالافكار والمشاعر والانظمة.

وانه وان كان ذلك ، اي فهم المجتمع هذا الفهم المغلوط يؤثر وقد اثر فعلا على الناس بوصفهم افرادا وبوصفهم جماعة ، وحال دون نهضتهم وجعلهم في حلقة مفرغة عشرات السنين ، ولكن تأثيره على السياسة اي على رعاية شؤون الناس كان افظع بل كان الكارثة التي حلت بهم والتي نقلتهم دون ان يشعروا الى اخذ الحضارة الغربية اخذا يصل الى حد الاعتناق في بعض الاحيان ، وجعلهم ينتقلون حتى في اذواقهم نحو مفاهيم الغرب من شدة تأثير الحضارة الغربية عليهم في اغتنامها فرصة الفهم المغلوط لمعنى المجتمع .

ولنأخذ من ذلك مثالين اثنين هما ـ مفاهيم الحكم ومفاهيم الاقتصاد ، لانهما اظهر المفاهيم التي اخذت عن طريق الفهم المغلوط للمجتمع ، واثرت على تصرفات الناس واذواقهم . فالغرب يرى ان الحكم للشعب ، وان السيادة للشعب ، وان القيادة جماعية ، وان الامة مصدر السلطات . وهذه المفاهيم هي افكار تتعلق بالعلاقات في السياسة ، اي بالعلاقات في رعاية الشؤون . وهي مفاهيم نشأت عند الغرب نتيجة الظلم السياسي الذي حصل في اوربا ثم في امريكا من قبل الملوك والامراء والاقطاعيين ، ومن قبل الدول الاستعمارية في امريكا حين كانت مستعمرات ، فنشأت عن هذا الظلم محاولات من قبل المفكرين ادت الى هذه المفاهيم . فجعل كل للشعب من اجل رفع الظلم السياسي عن الناس . وبالرغم من لمسهم ان واقع الحكم هو غير هذه المفاهيم ، ومع ذلك ظلت هي المسيطرة عليهم وعلى مفكريهم وتناسوا ان الواقع لا يمت بصلة الى هذه المفاهيم . ولما كان المجتمع عندهم هو مجموعة الناس فانهم لم يلاحظوا رعاية الشؤون اي السياسة هي علاقات الناس فيمن يحكمهم وليست حاكما ومحكوما . ولهذا اعتبروا مجموعة الناس هي المجتمع ، واعتبروا ان الناس هم الذين يحكمون انفسهم ، اي يرعون شؤونهم اي يرعون شؤون انفسهم ، فظلوا تائهين عن معاني هذه المفاهيم، يعتنقونها وان خالفت الواقع الذي هم فيه . فهم لم يلاحظوا ان الشعب لا يحكم ، فهو لا يتولى السلطة وانما الذي يتولاها نيكسون في امريكا ، وبريجنيف في روسيا ، وبومبيدو في فرنسا الخ . ومع ذلك ظلوا يقولون ان الشعب هو الذي يحكم ، ولم يلاحظوا ان الشعب لا يتولى القضاء وانما يتولاه قضاة قد درسوا القانون ، وانه كما يستحيل على الشعب ان يتولى السلطة كذلك يستحيل عليه ان يتولى القضاء ، فانهم ظلوا يقولون ان الشعب هو الذي يتولى القضاء تماما كما يقولون ان الشعب هو الذي يتولى الحكم . ولم يلاحظوا ان الشعب لا يتولى التشريع وانما يتولاه رجال القانون وتسنه الحكومة ، ومع ذلك ظلوا يقولون ان التشريع للشعب وان الشعب هو الذي يتولى التشريع ولم يلاحظوا ان الشعب ليس له في الواقع الا اختيار الحاكم وليس له عزله ، وان الحاكم هو الذي يشرع ، وهو الذي يسيطر على القضاء وانه لا توجد الا سلطة واحدة هي سلطة الحاكم . ومع ذلك قالوا ان هناك ثلاث سلطات هي السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية والسلطة القضائية ، وان الشعب هو مصدر السلطات. نعم لم يلاحظوا مخالفة مفاهيم الحكم لواقع الحكم ، اذ اعماهم عن ذلك الفهم المغلوط عن المجتمع ، الى جانب ما سمعوه عن الظلم السياسي وما يتصورونه من هذا الظلم اذا لم يكن الشعب هو كل شيء .

هذا بالنسبة لمفاهيم الحكم ، اما مفاهيم الاقتصاد فان ما عانته اوربا من ظلم الاغنياء والاقطاعيين والتفاوت الفاحش بين الناس في العيش ، وما عانته امريكا من ظلم الاستعمار واستيلائه على خيرات البلاد الى جانب

ظلم الاغنياء والتفاوت الفاحش بين الناس فى العيش قد اوجد عند المفكرين فكرة توفير المال للناس يأخذونه بمقدار قدرتهم على تحصيله وتوصلوا الى ان المشكلة الاقتصادية هي الندرة للمال ، اي عدم كفاية المال فى البلد بكميات تكفي لحاجات مجموعة الناس، كان الفقر هو حاجة البلاد للمال وليست حاجة أفراد الناس له ، فصار الفقير هو المجتمع حسب فهمهم وليس الافراد ، اي هو مجموعة الناس وليس أفراد هؤلاء الناس ، وبناء على ذلك انصب التفكير على ايجاد المال فى البلد بكميات تكفي لحاجات مجموعة الناس ، وليس توفير حاجة كل فرد من الناس . وبالرغم من لمسهم ان واقع الاقتصاد هو حاجة كل فرد من الناس وليس مجموعة الناس ، وبالرغم من لمسهم ان ظلم الاغنياء لا يزال قائما بل ازداد ، وان التفاوت الفاحش بين الناس فى العيش قد ازداد ، اي بالرغم من لمسهم ان واقع الاقتصاد هو غير هذه المفاهيم . ومع ذلك ظل مفهوم المشكلة الاقتصادية عندهم هو القدرة النسبية، وظلت هذه المفاهيم الاقتصادية هي المسيطرة عليهم وعلى مفكريهم ، وتناسوا ان الواقع لا يمت بصلة الى هذه المفاهيم ، ونظرا لأن المجتمع حسب فهمهم هو مجموعة الناس ، لم يلاحظوا ان الاقتصاد اي التوفير توفير المال هو علاقات بين الافراد مع بعضهم ، وعلاقات بين مجموعة الناس ومن هو مسؤول عن توفير حاجاتهم ، وليست مالا يوضع فى اليد ويأخذ منه كل بحسب قدرته . ولهذا اعتبروا مجموعة الناس هي المجتمع، واعتبروا ان الناس هم الذين يوفرون لمجتمعهم المال ، وان الحاكم لا عليه الا ان يوفر المال للبلد بوصفه كلا اي لمجموعة الناس ، فظلوا تائهين عن معاني هذه المفاهيم يعتنقونها وان خالفت الواقع الذي هم عليه وان الحقت بهم الاضرار وركزت ظلم الاغنياء ووسعت التباعد الفاحش بين الناس فى العيش .

هذا هو المفهوم المغلوط للمجتمع ، وهذه المفاهيم المغلوطة عن الحكم وعن الاقتصاد وكل ما ترتب على معنى المجتمع عندهم من مفاهيم أخرى هي التي نقلت العلاقات بين الناس ، ونقلت مفاهيم الناس وحتى اذواقهم الى الخضوع للحضارة الغربية بل الى طريقة العيش (عند الغرب) ووجهة نظره فى الحياة . لذلك كان **من اهم ما على الناس جميعا حتى فى الغرب ، ولا سيما المسلمين فى العالم الاسلامي ان يتبنوا معنى المجتمع ، وان ينبذوا ثم يحاربوا مفهوم الغرب عن المجتمع كخطوة أولى لنبذ سائر مفاهيمه لا سيما مفاهيم الحكم والاقتصاد لأنهما الركيزة الأساسية فى التأثير .** لذلك كان لا بد من ان يتركز عند الناس ولا سيما المسلمين فى العالم الاسلامي ان المجتمع هو مجموعة الناس بأفرادهم بما بينهم من علاقات وليس البلد ولا مجموعة الناس ، وبناء على هذا التركيز يبنون عليه ان ما بين مجموعة بأفرادها هو علاقات ، وان ما بين مجموعة ومن يتولى السلطان فيها أي يتولى رعاية شؤونها هو علاقات ، وان ما بين مجموعة الناس هذه ومجموعات اخرى اي أمم ودول اخرى هو العلاقات ، وان المسألة كلها تتعلق بالعلاقات فيكون البحث هو من هذه العلاقات .

اعلانات :

الواح تعلق فى الاسواق (كامل ابن الاثير ج 10 ص 171 و ج 11 ص 29 وتاريخ ابن الفرات (ج 4 ص 17 و 64) .

الألفاظ الهندية المعرّبة

من مظاهر الوحدة :

الدكتور محمد يوسف
أستاذ اللغة العربية - جامعة كراتشي (باكستان)

امتازت الهند منذ أقدم العصور بوفرة وتنوع انتاجها النباتي والحيواني والمعدني كما انها اشتهرت بجودة الصناعات المختلفة المرتكزة على ذلك الانتاج الطبيعي ، ثم هي تصاقب من الناحية الشرقية بلاد الصين التي اختصت بطائفة اخرى من الحاجيات والكماليات التي لم يكن للعالم الغربي بدمنها ، ومن هنا نشأت « التجارة الشرقية » التي تنافس عليها المتنافسون من الفرس والعرب والروم ، واخيرا اقوام اوربا الغربية ، اعني البرتغاليين والفرنسيين والهولنديين والانجليز ، وقد استمرت هذه التجارة العالمية تجري من الشرق الى الغرب حتى غير مجراها الآلات والمخترعات الحديثة وما ادت اليه من الانقلاب الصناعي والتقدم الاقتصادي في الممالك الغربية .

لقد كان لهذه التجارة اثرها الفعال في مداولة الايام بين الناس ، فمثلا يقول العلامة بارتولد : « صارت ايران مزاحمة قوية للدولة الرومانية في زمن الساسانيين ... واستولت **برا وبحرا على طريق تجارة الهند والصين ذات الخطر لجميع العالم المتحضر** ، وبهذا الحادث يبتدىء انتقال التفوق في الحضارة من اوربا الى الشرق الادنى » (الحضارة الاسلامية ، 1950 ، ص 4) . كذلك يعتبر اهتداء واسكو دي كاما (Vasco da Gama) الى طريق الهند نقطة التحول في العلاقات بين الشرق والغرب ، وحقا لئن كانت صفقة تفوق صفقة أبي غبشان في الخسارة والغبن ، فهي تلك التي جعلت اسد البحر ابن ماجد يقود رائد البرتغاليين الى ميناء كاليكت (Calicut) في سنة 1498 م .

فاثر تجارة الهند والصين في التطورات السياسية بين الامم الشرقية والغربية معروف عند كثير من المؤرخين بابرازه وتقدير خطورته ، الا ان هناك ناحية اخرى طالما بقيت غامضة مطوية لم تلق الاهتمام اللائق بها الا منذ زمن قريب ، الا وهي تأثير العلاقات التجارية بالهند وما وراء الهند في حضارات الفرس والعرب والروم في العصور القديمة والوسطى ، ولا اجد ما اتقدم به لهذا الموضوع احسن مما كتبه البروفسور هيرن (Heeren) العالم المتخصص في العلاقات التجارية الدولية القديمة وهذا نصه :

"Of all the divisions of Asia the southern, containing the territory of Hindustan, is distinguished by the richness and diversity of its productions. Here we not only find, with very few exceptions), all the products of other parts of civilised Asia, but so great a variety peculiar to its own climate, that it would appear as if a new and more beautiful creation had sprung up under the hand of nature. Nearly all the spices, which become necessary to mankind in exact proportion to the progress of luxury and refinement, have at all times been peculiar to this region, while two of the most important articles used in clothing, viz., cotton and silk, were first produced here, and continue to be so in an especial degree, though their cultivation has been gradually extended to other countries .... The influence which an intercourse with India may have had on the civilisation of mankind, is a question worthy the close attention of the philosophical student of history; and one which, not withstanding the important illustrations it has of late received, has been by no means sufficiently elucidated, It is of the greatest consequence to ascertain the channels through which, at various periods, it found its way, or into which it was conducted; and the whole course of history tends to prove that the countries which became the staples or depots of this commerce, uniformly attained a high degree of opulence and refinement; which, however, gradually changed the habits and corrupted the manners of their inhabitants; at the same time that these were softened, sowing among them the seeds of luxury, and consequently of decline and ruin." **A. H. L. Heeren: Historical Researches into the Politics, Intercourse and Trade of the principal Nations of Antiquity,** Oxford, 1833, vol. I, pp. 35-56.

اذن كان من اثر تجارة الهند ان تطورت سبل المعيشة واساليب الحياة ، بل وتغيرت الأمزجة والطباع لغير واحد من الشعوب القاطنة غربي الهند، وغني عن القول أن العرب ، بالاشتراك مع الفرس سكان الخليج الفارسي ، كانوا ، بطبيعة مركزهم الجغرافي ، اكثر تلك الشعوب اتصالا وحرصا على الاحتفاظ بدورهم فى حركة استيراد المنتجات الهندية المختلفة ونقلها عبر اراضيهم الى شواطىء البحر الابيض المتوسط ، ولئن كنا نأسف حقا لعدم وجود المصادر اللازمة للحصول على معلومات وافية عن نشاط العرب فى هذا الميدان فيما يتعلق بالعصور السابقة للاسلام ، ففي وسعنا ان نتلافى هذا النقص بالرجوع الى لغة العرب وآدابهم (1) ودراستهما دراسة مقارنة الى جانب اللغات الهندية مثل ما فعل العلماء الافرنج بشأن دراسة علاقات الروم بالهند ، وبما أن العرب كانوا فى موقع وسط بين الروم والهند فقد القت بحوثهم اضواء على العلاقات العربية الهندية الا انها ، بطبيعة الحال ، اضواء جانبية فقط ، اما موضوع العلاقات العربية الهندية بالذات فقد بقي مغمورا مجحودا لا لشيء الا لعدم اتساع علم اللغويين الاول والمعنيين بالمعرب والدخيل فى العربية الى الهند ولغاتها ، نراهم — وكثير منهم ينتمون الى اصل فارسي — يقتصرون على ارجاع الكلمات الى الفارسية ، وفى بعض الاحيان يقفون حائرين امام كلمات لا يجدون لها اصلا بالفارسية فيأتون بتعليلات من الخيال (2) ان دلت على شيء فهو أن الكلمة عدت غريبة فى نظرهم ، واخيرا لفتت دراسات الغربيين النظر الى هذا الموضوع الشيق فاقبل عليه العلماء الهنود بجد واهتمام ،

وفعلا اثمرت جهودهم ثمرة طيبة من حيث انها مهدت الطريق امام الباحثين فى المستقبل الى ميدان واسع بكر .

/*/

هناك ثلاث طرق سارت عليها تجارة الهند الى موانىء البحر الابيض المتوسط :

---

1) يقرر الاستاذ هيرن هذا الاصل بقوله :

"We too often find curselves without the information necessary to follow the course of trade into the most remote regions; but when we meet with the mention of articles which are unquestionably peculiar to certain countries, we are warranted in concluding that a communication then existed with those countries, though we may be unable to define its nature and extent. A piece of sugar or a morsel of pepper in a neglected corner of a villageinn would be a certain proof of the trade with either Indies, even if we possessed no other evidence of the commerce of the Dutch and English with these countries." Heeren, 139-40.

2) راجع مثلا تحقيقنا عن « الفالج » و « القلقي » والكلام على « الشال » فى الصفحات التالية .

1) برا من الممرات على الحدود الشمالية الغربية للهند الى بلخ ، ثم على خط سير القوافل شمال صحراء كرمان الى المدائن الى انطاكية والموانىء المجاورة لها .

ب — بحرا من الساحل الغربي للهند الى الخليج الفارسي مصعدا بالفرات ثم برا الى انطاكية والموانىء المجاورة لها .

ج — بحرا من الساحل الغربي للهند الى ساحل عمان الى ساحل اليمن ومن هناك اما على طول ساحل البحر الاحمر او على خط سير القوافل الى موانىء سوريا وفلسطين .

غني عن القول ان الطريق البري استخدم قبل ان يستخدم الطريقان البحريان ، وفعلا وجد علماء الآثار ما يؤكد ان العلاقات بين ارض الانهار الخمسة (البنجاب) وارض الرافدين ترجع الى عشرات القرون قبل عهد التاريخ المنتظم (3) الا ان التجارة عن هذا الطريق كانت عبارة عن انتقال البضائع من قبيلة الى اخرى ضد احوال طبيعية صعبة وكانت ايضا متارجحة لعدم استقرار الاحوال السياسية ، ولذلك كان التحول الى الطريق البحري ايذانا بزيادة ملحوظة فى التبادل التجاري بين البلدين .

والدليل الموثوق به على جلب البضائع برا من الهند فيلة (4) على مسلة (Shalmanassar) (858 — 824 ق . م) ذكرت باسم غير معهود فى الآشورية هو (Baziati) عن السنسكرتية (Vasita) وبما ن الفيلة ذكرت الى جانب « الابل من (Bactria) ذات السنامين » يتاكد لدينا انها نقلت بالطريق البري عبر الحدود الشمالية الغربية للهند (5) .

ولا باس بان نقف قليلا عند ذكر « الابل من « Bactria » فى القرن التاسع ق.م فنلاحظ أن من اشهر واعز اصناف الابل عند العرب « البختية » وهي على حد قولهم « الابل الخراسانية تنتج من بين عربية وفالج » (اللسان) والفالج : البعير ذو السنامين... يحمل من السند للفحلة (الصحاح) وصف الفالج بهذه الصفة ابن حوقل سنة 350 هـ (6) والمقدسي سنة 375 هـ حيث يقول هو الآخر :

(من خصائص السند) « الفالج الذي تراه بالمشرق وفارس يولد البخاتي وهو أعظم من البخت له سنامان مليح لا يستعمل ولا يملكه الا الملوك ولا تكون البخت الا منه » (7) .

والفالج كلمة سندية محلية والجيم فيها علامة العجمة لا غير مع أن بعضهم لم يعد مهم التعليل بأن الفالج « يسمى بذلك لأن سنامه نصفان » (المخصص 68/7) ! ! ! وكذلك البختية « دخيل فى العربية اعجمي معرب » (اللسان ومثله فى المخصص 135/7 عن صاحب العين) . اذن فما هو اصل الكلمة ؟ لم ينصوا عليه بل ربما لم يهتدوا اليه حتى أن بعضهم اجترا على القول بأن الكلمة عربية (انظر اللسان) ... على كل حال ما من شك فى ان « البختية » لم تكن غير « الابل من « Bactria » .

ومن الجدير بالملاحظة ايضا فى هذا الصدد ان اصحاب المعاجم قد فرقوا ، جريا على عادتهم ، بين مادتي « بخت » و « بختر » الا أن مشية الجمال البختية طوال الاعناق ذات السنامين هي اشبه شيء بمشية الخيلاء وقد جرت العرب على هذا المنوال فى قولها «تفختت» من مشي الفاختة (المخصص 109/3) ومن الثابت ايضا انها كانت تصف النساء « بالبخت » قال الشاعر :

وفيهن من بخت النساء سبحلة
تكاد على غر السحاب تروق (9)

---

3) Wilson: The Persian Gulf, p. 28

4) الفارسية « pil » السنسكرتية « pilu » الا أن بعض العلماء يذهبون الى أن هذه الكلمة ليست أصيلة فى السنسكرتية . انظر « Elephant » Hobson-Jobson, (Supplement,

5) Kennedy, J.; Early Commerce of Babylon with India. JRAS, 1897, p. 242-288

6) المسالك والممالك ص 231 .

7) احسن التقاسيم ص 482 .

7) احسن التقاسيم ص 482 .

8) انظر Dozy: Supplement

9) سمط اللآلي 351 .

أما العلاقات التجارية البحرية بين المنطقة الممتدة من الخليج الفارسي الى البحر الأحمر وبين الهند فمن المقطوع به انها راسخة فى القدم الا ان الأدلة فيما يتعلق بالفترة السابقة لسنة 700 ق.م ليست بكثيرة ، من اهمها :

1 — ورد فى الكتابات التي ترجع الى ما قبل 2000 ق.م أن الاكاديين كانوا يستوردون الاخشاب من (Magan) اي عمان ، ويرجح أن تلك الأخشاب انما كان اهل عمان بدورهم يجلبونها من الساحل الغربي للهند (10) .

2 — كلمة (Sindhu) الواردة فى مكتبة (Assurbanipal) (668 — 626 ق.م) انما يرجع أصلها الى الهند وهي تعنى « القطن الهندي » ومنها العبرية (Sadin) والعربية « سدين » (11) .

3 — كلمة « Karpas » العبرية توافق السنسكرتية « Karpasa » .

4 — فى القرن العاشر ق.م استعان سليمان ، جريا على سياسة أبيه داود ، بالفينقيين لتنشيط حركة الملاحة والتجارة بين ميناء (Ezion Geber) (العقبة) (12) و Abhira = Ophir أعالي الساحل الغربي للهند (13) وتعد الكلمات الآتية من آثار هذه الحركة التي كانت ولا شك اقدم بكثير من عهد سليمان ، ولم يكن منه الا أن جعلها مباشرة بعد أن كانت تجري على أيدي وسطاء كثيرين :

1 — العبرية« Shen Habbin »= « سن الفيل » (العاج) عن السنسكرية « ibha-danta » .

2 — العبرية (almug) (14) عن السنسكرتية والتاملية (valgu) .

3) العبرية (Koph) القردة عن السنسكرتية (Kapi) (قارن المصرية القديمة (Kafu)] .

4 — العبرية(thuki-im)عن التاملية(tokei-togai) وعنها الفارسية والعربية « طاووس » .

هذا بالاضافة الى الذهب والفضة والاحجار الثمينة التي تتألف منها قائمة البضائع المستوردة من الهند على ذلك العهد (15) .

ولا يخفى أن هذه الأدلة ، قليلة كما هي ، قد تناولها بعض العلماء بالتجريح والرفض (16) الا انهم فى الوقت نفسه اكدوا أن عدم توفر الدليل لا يعني وجود ما يمنع التجارة البحرية ، بل بالعكس امتاز الدراوريون (Dravidians) سكان جنوب الهند منذقديم الزمان بالاتجاه الى الملاحة .

ومنذ القرن السادس ق.م ينقشع الظلام وتتوفر لدينا الأدلة القاطعة على ازدهار التجارة البحرية ، منها :

1 — العثور على قطع من الساج (المرهتية (Sag)] وغيره من الاخشاب الهندية فى قصر نبخت نصر (Nebuchadnezzar) (604 — 562 ق.م) وفى معبد اله القمر الذي جدد نبخت نصر بناءه بـ(Ur) .

2 — انتشار عدد كبير من البضائع الهندية فى اليونان حيث كانت ترد عن طريق بابل ولا تزال

---

10) انظر Wilson: The Persian Gulf, p. 27 ولعل Magan هي « مزون » بالعربية .
11) H. J. Rawlinson: Intercourse Between India and the Western World, Cambridge. 1926, p. 2-3
12) لقد أمكن تحديد الموقع بتل الخليفة غربي العقبة على اثر الأعمال التي قامت بها بعثة أمريكية هناك اثناء 40 — 1938 م .
13) اختلف كثيرا بشأن Ophir بعضهم قرأوا الكلمة Sophir « سوبارة » بالهند أيضا أو « ظفار » باليمن أو « سفالة » الزنج ، الا ن المرجح انها كانت بالهند .
14) نوع من الخشب الثمين ، الصندل الاحمر على الأرجح راجع Cheyne : Ency. Biblica
15) Rawlinson, pp. 10-11
16) فى مقدمة هؤلاء الأستاذ J. Kennedy الذي مضت الاشارة اليه .

اسماؤها اليونانية والعربية ترشدنا الى أصلها فمثلا :

السنسكرتية (Chandan) = العربية (صندل) .
التاملية (Arisi) = العربية (الأرز) (17) .
التاملية (Karppu) = العربية (قرفة)
التاملية (Inchiver) = العربية (زنجبيل) .
التاملية (Pippali) = العربية (فلفل) .
السنسكرتية والتاملية (18) Vaidurya
= العربية (بلور)
السنسكرتية (Kirmi) = العربية (قرمز)

فهذه هي بعض الكلمات الهندية الأصل التي دخلت اللغة اليونانية عن طريق بابل فى الفترة التي نحن بصددها (19) .

وقد بحث العلماء عن التطورات التي ادت الى نمو التجارة البحرية بين بابل والهند فى القرنين السابع والسادس ق.م فوجدوا أن تلك الظاهرة توافق تنكيل (Sennacherib) بالكلدانيين واحلال الفينيقيين محلهم فى سنة 694 ق.م لأن الكلدانيين الذين سكنوا « سيف البحر » (20) منذ القرن التاسع ق.م لم يكن لهم من التفوق فى الملاحة ما كان لأقرانهم الفينيقيين الذين جلبهم الملك الآشوري من أعالي دجلة والفرات وعلى هذا يمكن القول بأن شجاعة الفينيقيين وخبرتهم بأعمال الملاحة والتجارة التي اكتسبوها فى موطنهم الغربي هما اللتان تغلبتا على مخاوف البحر الهندي (21) . ومن ناحية اخرى نجد فى المصادر الهندية الراجعة الى هذا العهد ولاسيما المجموعة المسماة بـ « Baveru Jataka » قصصا عن التجار الهنود (اغلبهم من الدراويين الذين مضى الالماع اليهم) قيل انهم اثاروا اعجاب أهل بابل بالغراب تارة وبالطاووس تارة اخرى .

ولا يفوتنا فى هذا المقام التنويه بأن تجارة الهند هذه كانت السبب الرئيسي فى رخاء بابل وعظمتها التي بلغت أوجها فى هذا العصر حتى أثارت حسد فرعون مصر (نخاو) (Necho) 612 — 596 ق.م) فما كان منه الا أن بذل الكثير من الاموال والارواح فى سبيل اعادة بناء القناة الموصلة من النيل الى البحر الأحمر، تلك التي كان افتتحها لأول مرة (Sesostris) فى القرن العشرين ق.م .

*/

وقد كان لهذه العلاقات ايضا اثر خالد فى أربع من اهم نواحي الحضارة فى الهند :

1 — الخط البراهمي (Brahmi) ، الذي تفرعت منه الخطوط الهندية المختلفة، انما كان من أصل سامي قوي الشبه بالحروف الفينيقية الى درجة تؤكد انه دخل الهند عن طريق الساحل الغربي على أيدي التجار الفينيقيين وقد حدد الدكتور بوهلر (Dr. Bühler) تاريخ دخوله الهند بسنة 800 ق .م ومع أن هذا التحديد لا يزال موضع نقاش الا انه من البديهي أن الخط لابد أن يكون قد مضى عليه قرون قبل أن يتطور فيتلاءم مع مقتضيات اللغات الهندية كما يبدو

---

17) الرز والآرز والرنز لغات فيه (* الانجليزية « Rice ») وقد اتجه بعض العلماء اخيرا الى الاعتقاد بأن المركز الذي انتشر منه الأرز فى العالم هو التركستان ولذلك قالوا ان أصل الكلمة هو « virinzi/virinza » بالفارسية القديمة = « briinj » بالفارسية الجديدة = « vrihi » بالسنسكرتية .
انظر : Sir George Watt: The Commercial Products of India London, 1908, p. 824 etseq.
وليعلم ان كلمة اخرى مماثلة « البهط : الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة » هندية ايضا كما جاء فى المخصص 3/5 واصلها « bhata » .

18) بالبراكرتية « Vailurya » انظر : « Beryl » Hobson-Jobson .

19) Rawlinson, p. 14

20) « Sealand » الوارد ذكره فى الكتابات المسمارية والممتد من مصب الفرات الى Dilmun = البحرين (فارس نامه لابن البلخي تذكارجب، 1921 م ص 140) ويظهر ان العرب كانوا يعنون بـ « السيف » هذا السيف الغربي للخليج الفارسي خاصة ، قال الأخنس بن شهاب :

لكيز لها البحران والسيف كله وان يأتها بأس من الهند كارب (المفضلية 41 / 9)

21) راجع مقال Kennedy السالف الذكر .

فى الكتابات التي يرجع عهدها الى القرن الثالث ق م وهي أقدم الكتابات التي عثر عليها فى الهند (22) .

2 — نظام منازل القمر المعهود عند الهنـــود انما هو مأخوذ من بابل . (Nakshatras)

3 — يرجح الاستاذ كينيدي (Kennedy) أن الهنود انما اقتبسوا نظام التعامل بالعملة المعـــروفة بـــ « Puranas » مما كان متبعا عند أهل بابل (23) ولا يخفى أن (Puranas) اقدم عملة عرفت بالهند وقـــد استمر التعامل بها الى عهد قريب ، ويرى كاتب هذا المقال انها هي المعنية بـــ « الفهري » عند مسعر بن مهلهل (24) و « القنهري » (تصحيف « الفهري » أو « الفنهري ») ، عند المقدسي (25) .

4 — يتبين بعض العلماء علاقة ما بـــين الاوزان الهندية القديمة وبين مثيلاتها عند أهل بابـــل مثـــل « المن » اذ أن أمرها مشكوك فيه جدا (26) .

*/

فى سنة 538 ق.م : امتدت سيطرة الفرس على بابل وغرب آسيا كلها وامتازوا بالجمع بين مصر من جهة ووادي السند من جهة أخرى فى جوزتهـــم الا ان هذه الميزة ، التي لا يمكن التقليل من اهميتها ، لـــم تستخدم ، كنتيجة للمنازعات السياسية ، لتسهيـــل التبادل بين المناطق الثلاث (البنجاب وبابل ومصر) التي كانت أهم مراكز التجارة الدولية ، ومن ثم يعتبر هذا العهد ـ عهد الأخمنيين (Achœmenians) الذي امتد الى ظهور الاسكندر (القرن الرابع ق.م) — عهد ركود على الرغم مما هو معروف عن دارا الأكبـــر (521 — 485 ق.م) — انه جهز وحدة بحرية تحت قيـــادة (Scylax) اليوناني للسفر وتفقد الأحوال من نهر السند الى مصر كما أنه أنشأ قناة من النيل الـــى السويس وارسل من هناك سفنا الى فارس .

لكن العلاقات التجارية بالهند كانت قد توطدت الى حد أنها ابت الا ان تتخذ لها مجرى آخر (27) ، فان الفرس لما لجأوا الى التنكيل بأهالي بابل وتخريب مواليهم وسد دجلة والفرات ما كان من الكلدانيين ، الذين قد عرفناهم من قبل ، الا أن نقلوا انفســـهـــم ونشاطهم الى (Gerrha) (على شاطىء الحسا) (*) التي سرعان ما أصبحت مدينة تجارية معروفة ، وبعد قليل ظهر اليمنيون كمنافس قوي للكلدانيين فى هـــذا الميدان فاتخذوا من (Mouza) = موخا وقنا (Kane) وعدن مراكز لهم ومالبثوا أن جذبوا اليها معظم تجارة الهند وافريقيا الاستوائية أيضا بالاضافة الى التجارةفى انواع الطيب المحلية من جنوب جزيرة العرب وكلما تدفقت هذه التجارة على خط سير القوافل من اليمن الى الشام — ذلك الخط الذي ربما سارت عليـــه بلقيس لزيارة سليمان — اشتهر قوم سبأ بالثـــروة والبسطة اللتين ضرب بهما المثل . وسنرى كيف ان فقدان هذه التجارة أدى الى خراب العمران الـــذي أصبح هو الآخر مضرب المثل .

*/

فى النصف الثاني من القرن الرابع ق.م. قلـــب الاسكندر الاوضاع ببسط سلطانه الى حدود السنـــد

---

22) Cam. Hist. of India I, pp. 140-142 وانظر ايضا دائرة المعارف البريطانية « Sanskrit » كذلك الخط الخروشتي الذي انتشر فى المناطق الشمالية الغربية للهند كان من اصل سامي آرامي .

23) راجع الجزء الثالث من مقاله الذي سبقت الاشارة اليه .

24) البلدان لياقوت « الصين » : « درهمهم (اهل كله) يزن ثلثي درهم ويعرف بالفهري » .

25) احسن التقاسيم 482 — فى نسخة « الفهري » وليعلم ان المقدسي نفسه ينص على القنهريات غير « القاهريات » أو « القندهاريات » (كما عند ابن حوقل 228 والاصطخري 173) = كل درهم منها خمسة دراهم .

26) Rawlinson, p. 15

27) لعل تحول تجارة الهند عن طريق الخليج الفارسي الى طريق البحر الأحمر كان قد بدأ فى عهد نبخت نصر ويعلل ونسنت Vincent تخريب ذلك الملك لمدينة صور بهذا السبب نفسه . انظر Wilson, p. 33 .

*) بحذاء هجر فى الجنوب الغربي من مدينة القطيف تقع « العقير » وهي الآن ميناء صغير وعلى مقربة منها خرائب يعتقد العلماء انها موضع (Gerrha) = جرهاء . (الدكتور جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام 140/1) .

وسرعان ما ابدى اهتمامه باعادة النشاط التجاري بين ساحل البند والخليج الفارسي فأرسل بعثة استكشافية لهذا الغرض تحت قيادة (Nearchus) على غرار ما كان فعله دارا الاكبر من قبل الا ان موته حال دون القيام بأي عمل آخر في هذا الشان. أما خلفاؤه الذين اقتسموا المملكة بينهم فقد شغلوا بالحروب الاهلية حتى ان السلوقيين (Seleucids) لم يكن يهمهم غير الحصول على الفيلة من الهند عن طريق ايران كما ان خصمهم في مصر بطليموس الثاني كان معنى بجلب ذلك الحيوان من الحبشة لاغراض حربية ولكن الى جانب ذلك نلاحظ ان العلاقات بين ملوك الهند من جهة وملوك الشام ومصر من جهة اخرى كانت في هذه الفترة اكثر توثقا من ذي قبل ، لا ادل على ذلك من وفود (Megasthenes) و (Dionysius) سفيرين لسلوكس وبطليموس على الترتيب لدى بلاط جندر كبت موريا (Chandragupta Maurya) ومما يذكر عن ملك الهند هذا انه اقام عددا من الموظفين للاتصال بالاجانب والسهر على راحتهم اثناء زياراتهم للهند ويستنتج من هذا كله ان التجارة بين الهند والخليج الفارسي لم تكن قد وقفت او هبطت الى درجة كبيرة، ثم ساعدت الاحوال السائدة بأعالي الخليج على تركيز هذه التجارة في ايدي اهل Gerrha الذين ربما كانت تتألف اغلبيتهم الآن من العرب وفي نفس الوقت كان نشاط سبأ في ازدياد مستمر وقد شاركهم في هذا النشاط النبطيون بأعالي البحر الاحمر ، اولئك القوم الذين ما كانت عاصمتهم الرقيم (Petra) لتنال شهرتها في التاريخ لولا انها وقعت موقعا هاما على خطي سير للقوافل من اليمن ومن العقبة (Aelana) ايضا .

*/

لقد اتضح مما سبق ان مصير سبأ ورخاءها وحضارتها كانت مرتبطة ارتباطا تاما باستمرار تجارة الهند على الخط البري المحاذي لساحل البحر الاحمر الى اسواق الشام ، وفعلا نرى تجار سبأ حريصين حرصا بالغا على الاحتفاظ بهذا الخط الى حد ان الروم واليونان كانوا يعتقدون طوال هذه المدة ان المنتجات الهندية التي كانت تنقل اليهم عن هذا الطريق كانت من منتجات اليمن المحلية (28) . ويجدر بالملاحظة في هذا المقام ان الاخطار الشديدة التي كانت تحدق بالملاحة في البحر الاحمر فوق عدن من عدم وجود موانىء صالحة وقلة الماء والقرصنة وما اليها كانت من اهم العوامل التي جعلت من الخط البري الطريق المفضل قرونا عديدة ، الا ان اليونانيين كانوا دائما يبذلون محاولات جدية للتغلب على تلك الصعاب من قاعدتهم في مصر مما جعل اليمنيين يرقبون تصرفاتهم بيقظة وحذر ، فمثلا لما عمد بطليموس الثاني (285 — 246 ق.م) ، الذي كانت سلطته تمتد الى فينيقية وفلسطين ، الى اعادة فتح القناة القديمة بين النيل والسويس (Arsinoe) اولا وانشاء الطريقين الصحراويين من (Koptos) الى (Berenike) ومن (Koptos) الى (Myos Hormos) ثانيا احدث ذلك رد فعل قوي بين اليمنيين . على كل حال اقصى ما توصل اليه اليونان ، بعد هذه الجهود المضنية ، هو ابتياع البضائع الهندية من حين الى آخر في الموانىء اليمنية ، خاصة (Mouza) ، ثم نقلها الى (Koptos) كما مر بدون ان يتسنى لهم الاستغناء عن وساطة سبأ ومن المعتقد ان النساء والكلاب والثيران والابقار والتوابل الهندية المحملة على الجمال ، تلك التي ازدان بها الموكب التاريخي لبطليموس الثاني سنة 271 — 270 ق.م انما وصلت الى عاصمة مصر بعد اعادة شحنها في الموانىء اليمنية . نعم وقد برز في هذه الآونة ايضا اسم جزيرة ستوطرة (29) كسوق دولي هاجر اليها واستوطنها اليونانيون (30) للمشاركة في تجارة الهند والحبشة .

فخلاصة القول ان تجارة الهند ما زالت تتحول من الخليج الفارسي الى البحر الاحمر منذ بداية عهد الفرس الاخمنيين ، بل وقيل ذلك منذ ايام بخت نصر الى ان اصبح الطريق الاخير هو الطريق الرئيسي في القرن الثاني ق.م وفي هذه الفترة بالذات اي منذ انتقال الكلدانيين الى (Gerrha) بدأ العرب سكان المناطق الساحلية الجنوبية الشرقية والجنوبية

---

28) Hitti : Hist. of the Arabs, p. 48

29) السنسكرتية « Dvipa Sukhatara » اي جزيرة السعادة.

30) يقول ابو زيد السيرافي ، سلسلة التواريخ ، باريس 1845 ، ص 133 — 134 ، ان الاسكندر هو الذي اهتم باسكان اليونانيين تلك الجزيرة تحقيقا لرغبة ارسطاطاليس في الاستيلاء على منابت الصبر بها .

يمارسون هذه التجارة ويستولون عليها أكثر حتى اصبحوا محتكرين لها يعضون على احتكارهم بالنواجذ ولم يستطع عملاؤهم اليونان ، مع شدة قلقهم ، احداث اي تغيير جوهري فى الوضع حتى القرن الثاني ق.م.

*/

ولكن ما كاد القرن الثاني يقترب من النهايةحتى حدث ما كان فى الواقع بداية لنهاية أمر العرب وهو أن ملاحا هنديا غرقت سفينته فوصل فى قارب النجاة الى الساحل الغربي للبحر الأحمر حيث تولى الخفر نقله الى الاسكندرية ، وبينما هو فى تلك المدينة وقد أخذه الحنين الى الوطن اذ التقى بـ (Eudoxus of Cyzicus) الذي كان له باع فى علم الجغرافيا ، ولم يمض وقت طويل حتى تواعد الاثنان وحصلا على موافقة الملك (Euergetes II) ومساعدته للقيام برحلة الى الهند وقد تم ذلك فعلا ما بين 120 — 110 ق.م (31) فرجع الملاح الهندي الى أهله بعد أن دل يودوكسس على الطريق الى الأرض التي كان يسمع عنها اليونان أن بها « أشجارا تنبت الصوف » و « أحجارا تذوب فى الفم فتكون أحلى من التين ومن العسل » (القطن والسكر على حد تعبير Herodotus, Megasthenes) على الترتيب) .

ولم تكن نتائج هذه الرحلة ، التي كانت الأولى من نوعها ، لتضيع على الملاحين اليونان فقد اتبعها يودوكسس نفسه على الأقل برحلة أخرى وما من شك أن آخرين حذوا حذوه من حين لآخر لانا نفاجأ قبل مضي فترة طويلة بسبق الملاح اليوناني ، المتمثل فى (Hippalus) ، على العرب الى الاكتشاف عن طريقة استخدام الرياح الموسمية الجنوبية الغربية فى السفر الى الهند ايام الصيف . من المؤكد ان العرب لم يكونوا يجهلون الرياح الموسمية ، كفى دليلا على ذلك أن الكلمة العربية « موسمية » هي التي انتقلت وتطورت الى (monsoon) لكنهم ، لسبب ما ، لم يكونوا قادرين على استخدامها ابانهياج البحر فى فصل الصيف بالذات (32). مهما يكن من أمر فان ما امتاز به اليونان كان كشفا عظيما ادى الى انقلاب خطير فى طريق الملاحة والتجارة ويؤرخ هذا الكشف ـ كشف (Hippalus) ـ فى سنة 45 م الا أن بين ايدينا ادلة على تغلغل اليونان وكثرة ترددهم على المناطق التجارية بالهند قبل ذلك، منها ايفاد بعثة من قبل الملك (Pandion) بأقصى جنوب الهند (33) الى (Augustus) بمصر فى سنة 20 ق.م ، كذلك شهادة استرابو (Strabo) الصريحة بأن 120 مركبا سارت الى الهند فى سنة واحدة (25 ق.م) من ميناء (Myos Hormos) ، ثم لا يخفى أن حملة (Aulius Galus) على اليمن فى عهد (Augustus) نفسه سنة 24 ق.م لم تكن الا حلقة فى سلسلة الخطوات لانتزاع تجارة الهند من أيدي العرب (34) . وذلك بالتواطؤ مع النبطيين شركاء سبأ الذين سبقت الاشارة اليهم ، لكن الحملة فشلت فشلا ذريعا وظل مركز العربقويا وكان ناقوس الخطر قد دق والخراب يتسرب الى اليمن رويدا رويدا .

وبمناسبة ذكر الملك (Pandion) لا بأس بأن نستطرد قليلا لنضرب مثلا للفائدة التي تعود على الادب العربي من الدراسات المقارنة فنقول ان مملكة (Pandye) بأقصى جنوب الهند قد اشتهرت من قديم الزمان بمغاصات اللؤلؤ الواقعة فى المياه الضيقة بين ساحل الهند وجزيرة سيلان وجاء عنها فى الأساطير الهندوكية أن الاله كرشن (Krishna) جمع اللآلىء من انحاء العالم وركزها فى تلك المنطقة لتتزين بها ابنته ملكة (Pandye) . لقد ذكر (Megasthenes) المغاصات والأسطورة المتعلقة بها (35) كما لم يغفل الاشادة بها أحد من الزائرين لتلك المنطقة فى جميع العصور من بينهم سليمان التاجر (36) وماركو بولو(37)

---

31) انظر : Rawlinson, p. 96-99

32) سيجد القارىء بحثا قيما عن هذا الموضوع فى: George Fadlo Hourani
Arab Sea-faring in the Indian Ocean, Princeton, 1951, p. 25

33) Pandya = « Pandion » هذا هو التفسير السائد وقد ذهب البعض الى أن المراد به « Porus » (Kadphises I) بالمنطقة الشمالية الغربية انظر : Rawlinson, p. 108

34) انظر : Hitti, p. 46

35) Cam. Hist. of India

36) سلسلة التواريخ ص 120 .

الا انه كان بهذه المنطقة ميناء هام ربما سار اسمه مع اللآلي التي كانت تصدر منه وهو (Kolkai) (38) وبما أن مياه البحر انحسرت وابتعد الساحل من موقع هذا الميناء اثناء العصور القديمة نفسها اختفت الاشارة اليه فيما عدا المصادر اليونانية الراجعة الى الفترة التي نحن بصددها ، ثم مضت قرون فاجأنا على اثرها الشاعر العربي علقمة بقوله :

محال كأجواز الجراد ولؤلؤ
من القلقى والكبيس الملوب (39)

كذلك قول ابن الرومي ايضا :

يفتر ذاك السواد عن يقق
من ثغرها كاللآ القلق (40)

« القلقي » ؟ = الـ (Kolkai) لا غير . لكن انظر ما جاء عنه فى اللسان « القلقي ضرب من الحلي، قال ابن سيده : ولا ادري الى اي شيء نسب الا أن يكون منسوبا الى القلق الذي هو الاضطراب كأنه يضطرب فى سلكه ولا يثبت .. » ! وفى بعض الاحيان الجأت الحيرة النساخ الى التحريف : « القلعي » بدل « القلقي » ــ الا أن الأمر لم يزل مغلقا .

لقد سبق أن رأينا ما كان لـ (Gerrha) من شأن كبير فى التجارة الدولية ، يبين لنا (Eratosthanes) (276 ــ 194 ق.م كيف أن اهلها ــ ولاشك أن غالبيتهم كانت من العرب ــ كانوا يقومون بنقل انواع الطيب والبضائع الأخرى المجلوبة من جنوبي جزيرة العرب والحبشة الى بابل و (Seleucia) كانوا ينقلونها بالقوافل البرية وربما ايضا بالسفن التي كانت تصعد بدجلة الى (Seleucia) نفسها (41) وقد كان لهم نصيب من تجارة الهند ايضا مع أن معظمها كانت قد تحولت الى اليمن والبحر الأحمر . ومن الجدير بالملاحظة أن هؤلاء التجار الوسطاء على ساحل الخليج الفارسي استمروا فى اعمالهم ونشاطهم طوال قرون عديدة بدون أية محاولة للتدخل من قبل السلوقيين اللهم الا ما كان من (Antiochus III) الذي اغار على (Gerrha) حوالي سنة 205 ق.م لكنه سرعان ما رضي بالرجوع قانعا بالغنائم والهدايا من البضائع التي كان الأهالي يتجرون بها ولا يخفى أن السلوقيين كانت لهم تجارة واسعة بالهند عن طريق البر (ايران) وهكذا ظل الحال ايام البارثيين (Parthians) الذين استولوا على بابل والمدائن ما بين 140 و 130 ق.م فهم ايضا قصروا اهتمامهم على تجارة الهند (والصين ايضا) عن طريق البر فقط (42) وقد كانت تكفي لتدر عليهم ارباحا طائلة . على كل حال لم يحدث فى منطقة الخليج الفارسي مثل ما حدث فى منطقة البحر الأحمر من منافسة اليونان للعرب .

*/

لم تكد دعائم الامبراطورية الرومانية تتوطد فى سوريا وفى مصر قبيل بدء التقويم المسيحي حتى نعمت البلاد بالاستقرار وتأمين السبل والقضاء على القرصنة مما ادى الى شدة الاقبال على سلع الكماليات المستوردة من الهند والصين فى روما والاسكندرية والمدن الأخرى ، ولذلك يعتبر القرن الأول المسيحي ازهى عصور تجارة الهند بالغرب ، أما التطورات التي كانت قد حدثت فى سير هذه التجارة بالنسبة الى العرب فنتبينها بوضوح فى مذكرات بحار يوناني مجهول كتبها حوالي سنة 80 م باسم (The Periplus of the Erythraean Sea)
ــ نتبين منها أن الملاحين الروم كانوا اذ ذاك يبحرون راسا من قنا او من (Ocelis) الى (Cranganore = Muziris) بالجزء الاسفل من الساحل الغربي للهند وذلك فى الحقيقة يمثل تقدما كبيرا على ما جرت عليه العرب

---

37) The Travels of Marco Polo, Broadway Travellers, London, 1931, pp. 292-293
38) على نهر Tamraparni باقليم Tinnevelly انظر The Periplus of the Erythraean Sea (Schoff), 1912, p. 237
39) العقد الثمين ق 4/1
40) كتاب التشبيهات لابن ابي عون ــ تذكاركب ــ ص 97 .
41) Wilson, p. 45
42) Hourani, p. 14

من السير بمحاذاة الساحل الى «منطقة البوازيج»(43) اي كجرات (Gujerat) وربما انحدروا من هناك الى ساحل المليبار ايضا — الا ان الروم ، على الرغم من تفوقهم هذا ، كانوا لا يزالون بعيدين من القضاء على نفوذ العرب القديم فى الأسواق الهندية ، يذكر ان الروم لم يكونوا يستطيعون الحصول على القرفة (اللحاء) الا فى راس (Guadrafui) لانها كانت تحجب عنهم فى الأسواق الاصلية بينما كان ورق تلك الشجرة، شجرة القرفة نفسها ، معروضا عليهم فى المليبار حتى اشتهر بينهم باسم (Malabathrum) (44) وهذا اطرف مثال للاواصر الوطيدة بين المصدرين من التجار الهندوس والوسطاء العرب ضد عملائهم الروم .

لكن لا يظن ان الاتفاق بين الشريكين القديمين كان كفيلا بمقاومة تغلغل الدخيل الجديد الذي اقتحم الميدان مسلحا بالتفوق فى طرق الملاحة فان المصدر نفسه اعني (Periplus) يحدثنا ايضا عن الموالاة بين الروم وبين حمير ملوك ظفار الذين كانوا قد حلوا محل سبأ منذ حوالي 115 ق.م ، وذلك شاهد على ان العرب وان لم يكونوا قد تركوا الميدان الا انهم كانوا قد بدأوا يهادنون خصومهم وهل ذلك الا كنتيجة للضعف والوهن ؟

ومما زاد الطين بلة ظهور منافس جديد للعرب فى تجارة الهند . لا يخفى ان الهندوس كانت لهم علاقات تجارية قديمة جدا بساحل الصومال والحبشة ، لا ادل على ذلك من ان المصادر الهندوسية تحتوي على اقدم الاشارات الى « رجال القمر » و « جبال القمر (45) ، ثم ان العرب ، وان لم يرحبوا بالتجار الهندوس فى الموانىء اليمنية ، كانوا قد امسكوا عن مزاحمتهم فى منطقة شرق افريقيا (46) حتى اصبحت ملتقى للتجار الهنود والعرب واليونان والروم ايضا وقد ظلت على حالها هذه الى ان بدأ الحبشيون يتطلعون فى الفترة التي نحن بصددها الى نصيب اكبر لانفسهم من تجارة الهند وسرعان ما راحوا ينشدون تحالفا مع الروم ضد العرب لهذا الغرض (47) وهكذا اصبحوا عاملا جديدا كان له شان يذكر فيما بعد .

على كل حال بلغ استهلاك البضائع الشرقية ، ولاسيما انواع الطيب ، ذروته فى عهد نيرو (Nero) — 54 — 68 م — فقد ذكر بيلني (Pilny) ان المملكة الرومانية كانت تتكبد ما يقدر بمليون ومائة الف جنيه سنويا ثمنا لمشترياتها من جزيرة العرب والهند والصين وكان نصف هذا المبلغ تقريبا من نصيب الهند وحدها (48) . وقد اضطر الملوك الذين جاءوا من بعد الى فرض بعض التقشف صونا للمركز المالي الا ان حركة الاستيراد ما زالت قوية حتى كان عهد طراجن (Trajan) 98 — 117 م — الذي سعى لتضييق الخناق على العرب وذلك باعادة فتح القناة القديمة بين النيل والبحر الاحمر . (وكانت قد انسدت منذ عهد البطليموس الثاني) وتوصيلها الى بابل مصر ثم بضم اقليم النبطيين ، الذين كانوا قد ساعدوا (Aulius Galus) ضد اليمنيين ، الى مملكته وانشاء طريق رئيسي من العقبة الى دمشق واخيرا بانتزاعه جميع الأراضى الممتدة الى (Charax) و (Apologus) باعالي الخليج الفارسي من أيدي البارتيين . لاشك ان فكرة السيطرة على هذين المناءين كانت فكرة سليمة جريئة لانهما كانا على اتصال بحري شرقا بالهند وقد أتفق لطراجن نفسه حينما كان واقفا على رصيف Charax ان راى سفينة تتاهب للاقلاع الى الهند فاسف على انه لم يكن فى وسعه التقدم الى تلك البلاد لكبره وكانت تمتد ايضا من المناءين خطوط تجارية غربا الى موانىء الشام وعلى ذلك فقد اراد طراجن ان يتم له الجمع بين منطقتي الخليج الفارسي والبحر الأحمر تحت سيطرته وتلك ميزة لم تتيسر من قبل لغير دارا الاكبر والاسكندر وكان يرجى أن تكون لمثل هذه الخطوة آثار بعيدة لولا ان البارتيين سرعان ما استردوا ما كانوا قد فقدوه فاقتصرت النتيجة على أن برز اسم مدينة (Palmyra) تدمر كخلف للرقيم التي خربها طراجن سنة 105 م وقد نال هذا المركز التجاري الجديد قسطا وافرا من الازدهار لأن الفريقين رأيا من مصلحتهما عدم التعرض له حتى بقي اهله يتجرون

---

43) هكذا يسميها ابو الفداء : التقويم (باريس) ص 358 .
44) Periplus ص 4
45) المصدر نفسه ص 87 نقلا عن Speke : Discovery of the Source of the Nile
46) المصدر نفسه ص 3
47) Hitti ص 59
48) Rawlinson ص 103